دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	أسلوب الاستفهام في آيات الأحكام : دلالته وخصائصة التركيبية ومعانيه البلاغية
المؤلف الرئيسي:	محمد، عبدالرحمن عثمان شعيب
مؤلفين آخرين:	إبراهيم، صديق عبدالرحمن، آدم، محمد هاشم محمد(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2014
موقع:	أم درمان
الصفحات:	1 - 347
رقم MD:	696916
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
الكلية:	كلية الدراسات العليا
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	بلاغة القرآن
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/696916

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الفَصْلُ الثَّالثُ

المعاني البلاغيَّة لِأُسلوب الاستفهام في آيات الأَحكام

المبْحث الأوَّل: معاني الاستفهام الخبرية.

المبْحث الثَّاني: معاني الاستفهام الطَّلبية.

المبْحث الثَّالث: معاني الاستفهام غير الطَّلبية.

الفصْلُ الثَّالثُ

المعاني البلاغيَّة لأُسلوب الاستفهام في آيات الأَحكام

توطئةٌ

في هذا الفَصْل سأُحاول استخراج واسْتقصاء المعاني البلاغيَّة الَّتي يُفيدها كل شاهد من شواهد أُسلوب الاستفهام في آيات الأحكام مقدِّماً في كلِّ أُسلوبٍ استفهامي المعنى البلاغي الأوضح والأظهر من خلال سياقه الَّذي ورد فيه.

وهذا المعنى الأوضح الَّذي أُقدِّمه على غيره قد يكون من المعاني الأَصلِية لأُسلوب الاستفهام الَّتي لا يخلو استفهام منها جميعها وهى:

التَّقرير، الإنكار، الأَمر، النَّهي، النَّفي، التَّمني، التَّشويق، الإخبار، التعظيم، والتَّحقير.

وقد يكون من المعاني الفرعية التَّابعة لها، كالتَّوبيخ والتَّهكم والتَّعجب والتَّبكيت والعتاب... إلخ.

وأسلوب الاستفهام – كما أشرتُ سابقاً إلى ما يتميَّز به من ثراءٍ فني وبلاغي[1]– قلَّما تقتصر دلالتهُ على معنىً واحد وذلك لأنَّ المعاني البلاغيَّة للاستفهام يسْتشِفُّ منها كلُّ بليغٍ بحسب اطِّلاعهِ وتمكُّنه من اللُّغة وتذوقه للبلاغة، وبحسب بصيرته النَّافذة في الكشف عمَّا وراء مباني الكلام منٍ معانٍ ودلالاتٍ. لذلك تتعدد المعاني البلاغيَّة للأُسلوب الاستفهامي الواحد. وهذه المعاني البلاغيَّة لأسوب الاستفهام يمكن تقسيمها من حيث دلالتها على الخبر أو الإنشاء لثلاثة أقسام هي:

معاني الاستفهام الخبرية: الإخبار والنَّفي والتَّعجيب والامتنان والتَّذكير والتَّشويق والتَّأكيد.

معاني الاستفهام الطَّلبية: كالأَمر والنَّهي والتَّحضيض والتَّرغيب والتَّهديد والوعيد والزَّجر والتَّحذير والتَّوبيخ والعتاب والإلزام.

---

(1) راجع ص70 من هذا البحث.

معـاني الاسـتفهام غيـر الطَّلبيـة: كالتَّعجـب والتَّعظـيم والتَّحقيـر والاسـتهزاء والاستبعاد.

وهذا التَّقسيم هو الَّذي اتَّبعه في هذا الفصل لدراسة المعاني البلاغيَّة لِأسلوب الاستفهام في آيات الأَحكام.

وقد التزمتُ في استقصائي للمعاني البلاغيَّة لأسلوب الاستفهام في آيات الأَحكام بالرُّجوع إلى أقوال علمائنا؛ أصحاب التّفاسير البلاغيَّة– كالإمام الزَّمخشري(ت:538هـ) صاحب تفسير (الكُشَّاف)، والإمام الفخر الرَّازي (ت:606هـ) صاحب (التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب)، والإمام أَبو حيَّان الأندلسي (ت:745هـ) صاحب تفسير(البحر المحيط)، و الإمام أَبو السُّعود العمادي (ت :898هـ) صاحب تفسير(إرشاد العقل السَّليم)، والإمام الألوسي (ت:1270هـ) صاحب تفسير (روح المعاني)، والشيخ محمد رشد رضا[1] (ت:1354هـ) صاحب تفسير(المنار)، والشيخ محمد الطاهر بن عاشور[2](ت:1393هـ) صاحب تفسير (التَّحرير والتَّنوير) مستأنساً بأقوالهم، مكتفياً في كل شاهد بالتَّوجيه الأصوب للأسلوب الاستفهامي والذي صاحبه به أسبق.

وكثيراً ما أضيف إلي توجيهاتهم للأسلوب الاستفهامي معانٍ أُخر للأسلوب لم يذكروها مما أري المقام ينادي به بل أحياناً هو المعني الأظهر للأسلوب. وقد أخالف بعضهم في توجيههم لاستفهام ما وبيان المعني المراد منه، ولكن ليس حُبّاً في المخالفة ذاتها وإنَّما التماساً للمعنى الأنسب للسِّياق ذوقاً وبلاغةً.

---

[1] هو محمد رشيد بن على رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بن بهاء الدين بن منلا على خليفة القلموني ، البغدادي الاصل الحسيني النسب .ولد ونشأ في القلمون(من أعمال طرابلس الشام) سنة اثنتين وثمانين ومائتين والف من الهجرة و تعلم في طرابلس ثم رحل إلي مصر فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له وأصبح احد رجال الإصلاح الإسلامي . توفي في القاهرة ودفن بها سنة اربع وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة ، ومن أشهر مؤلفاته مجلة (المنارة) و (تفسير القرآن الكريم) ولم يكمله و (يسر الإسلام وأصول التشريع العام) انظر ترجمة: الإعلام للزركلي ج6، ص 126.

[2] هو محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مولده بتونس ودراسته ووفاته بها سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة والف للهجرة النبوية. ومن اشهر مؤلفاته :(مقاصد الشَّريعة الإسلاميَّة) و(أصول النِّظام الاجتماعي في الإسلامِ) و (التَّحرير والتَّنوير) في تفسير القرآن. أنظر ترجمته : الأعلام للزركلي،ج6 ،ص 173، 174.

المبحث الأَوَّل: معاني الاستفهام الخبرية

المطلب الأَوَّل: الإنكار :

مما ورد به من أسلوب الاستفهام في آيات الأَحكام قوله تعالى :(وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّار إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّه عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّه عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّه مَا لاَ تَعْلَمُونَ) [1] فالاستفهام الأَوَّل في هذه الآية للإنكار على اليهود فيما ادَّعوه لأنفسهم، من أنَّهم إذا دخلوا النَّار فلن يمكثوا فيها إلا أياماً معدودة وتكذيب لهم بأنَّه إن كان قد وقع لهم من اللَّه عهد بذلك فهو لن يخلف عهده، ولكن هذا لن يكون.

يقول الفخر الرَّازي[2](ت:606هـ): " قوله تعالى (أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّه عَهْدًا) ليس باستفهام بل هو إنكار لأنه لا يجوز أن يجعل اللَّه حجة رسوله في إبطال قولهم أن يستفهم"[3] يقصد بذلك أن هذا الاستفهام ليس استفهاماً حقيقياً، بل بلاغي بمعني الإنكار.

(قُلْ أَغَيْرَ اللَّه أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [4]

الاستفهام للإنكار يُنكر به النَّبي– صلى اللَّه عليه وسلَّم– على المشركين اتخاذ غير اللَّه معبوداً، سواء كان اتخاذه مع اللَّه وهو الإشراك أو من دونه وهو الإلحاد، كما في الاستفهام تقريع على المشركين ونهى عن الشرك. يقول الإمام الزَّمخشري[5] (ت:538هـ)"أولي غير اللَّه همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو(أَتَّخِذ) لأنّ الإنكار في اتخاذ غير اللَّه ولياً، لا في اتخاذ الولي، فكان أولي بالتَّقديم"[6].

---

[1] سورة البقرة الآية (80).

(2) انظر ترجمتهُ: ص130 من هذا البحث.

[3] راجع ص130 من هذا البحث.

[4] سورة الأنعام الآية (14).

(5) انظر ترجمته: ص47 من هذا البحث.

[6] الكُشَّاف ، ج2 ، ص 11.

(ثَمَانِيَـةَ أَزْوَاجٍ مِّـنَ الضَّـأْنِ اثْنَـيْنِ وَمِـنَ الْمَعْـزِ اثْنَـيْنِ قُـلْ آلـذَّكَرَيْنِ حَـرَّمَ أَمِ الأُنثَيَـيْنِ أَمَّـا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ) [1]

هذه الاستفهامات للإنكار على العرب قبل الإسلام فيما كانوا حرَّموا من الأنعام وتكذيبهم وتوبيخهم عليه.

يقول الإمام الزَّمخشري (ت:538هـ) "الهمزة في آلذكرين للإنكار والمراد بالذكرين الـذَّكر مـن الضَّـأن والـذَّكر مـن المعـز، وبـالأنثيين الأنثـى مـن الضـأن والأنثـى مـن المعز....و كذلك الذَّكران من جِنسيَ الإبل والبقر والأُنثيان منهما، وما تحمل إناثهما، وذلك أنهم كانوا يحرمون ذكور الأنعام تارةً، وإناثها تارةً وأولادها كيفما كانت ذكوراً وإناثاً ومختلطةً تارةً. وكانوا يقولون قد حرمها اللَّه، فأنكر ذلك عليهم"[2]

(أَوَلَـمْ يَتَفَكَّـرُواْ مَـا بِصَـاحِبِهِم مِّـن جِنَّـةٍ إِنْ هُـوَ إِلاَّ نَـذِيرٌ مُّبِـينٌ أَوَلَـمْ يَنظُـرُواْ فِـي مَلَكُـوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّه مِن شَيْءٍ) [3]

الاستفهامان للإنكار على اليهود أو على مشركي العرب، رميهم صاحب الرسالة – صلَّى اللَّه عليه وسلَّم – بالجنون وتكذيبه، وعدم نظرهم في ملك اللَّه وسلطانه في السَّماوات والأرض، وما خلق فيهما من شيءٍ فيتدبروا ذلك ويعتبروا به، فيؤمنوا باللَّه ويصدقوا رسوله.

ويردف على الإنكار التَّعجيب والتَّوبيخ والتَّحذير يقول الإمام أَبوالسُّعود[4](ت:989هـ) "(أولم يتفكروا) الهمزة للإنكار والتَّعجيب والتَّوبيخ.. (أو لم ينظروا) والهمزة لما ذكر من الإنكار والتَّعجيب والتَّوبيخ".[5]

---

[1] سورة الأنعام الآيتان (143 ، 144).

[2] الكُشَّاف ، ج2، ص 70.

[3] سورة الأعراف الآيتان: (184، 185).

(4) انظر ترجمتهُ: 117 من هذا البحث.

[5]تفسير أبي السُّعود ج3، ص 298.

(كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّه وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ اللَّه يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) [1]

الاستفهام للإنكار والاستبعاد والتَّعجيب.

يقول الإمام الزَّمخشري (ت:538هـ)"كيف استفهام في معني الاستنكار والاستبعاد لأن يكون للمشركين عهد..." [2]

و الإنكار في هذه الآية مسلطٌ على دوام العهد واستمراره مع المشركين مستقبلاً، أو انشاء عهود جديدة معهم بعد انقضاء مدة عهود من أوفي بعهده مع المؤمنين منهم عند صلح الحديبية، وليس مسلطاً على الواقع لأنَّ العهد قد وقع وتم وهو قائمٌ بالفعل.[3]

(وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاس حتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ)[4]

الاستفهام للإنكار والعتاب والتَّسهيل والتَّخفيف .

يقول صاحب تفسير (التَّحرير والتَّنوير) " و الاستفهام في أفأنت تكره النَّاس إنكاري، فنُزِّل النَّبي – صلَّى اللَّه عليه وسلَّم – لحرصه على إيمان أَهْل مكة، وحثيث سعيه لذلك بكل وسيلةٍ صالحةٍ مَنزلة من يحاول إكراههم على الإيمان، حتَّى ترتَّب على ذلك التَّنزيل إنكاره عليه" [5]

و الإنكار مسلطٌ على الفاعل لا الفعل لأنَّهُ في "إيلاء الاسم حرف الاستفهام للإعلام بأنَّ الإكراه ممكنٌ مقدورٌ عليه، وإنَّما الشَّأن في المُكْرِه مَنْ هو؟ وما هو إلا هو

---

[1] سورة التوبة الآية (7).

[2] الكُشَّاف ، ج2 ، ص 231.

[3] انظر: التَّحرير والتَّنوير، ج 10، ص123.

[4] سورة يونس الآية(99).

[5] التَّحرير والتَّنوير ، ج11، ص 293.

وحده– أي اللَّه – لا يشارك فيه لأنه القادر على أن يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده إلي الإيمان ، وذلك غير مستطاعٌ للبشر".[1]

(قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّه شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) [2]

الاستفهام للإنكار والالزام بالإيمان بوجود اللَّه بإقامة الحجة عليهم بدلائل وجوده.

يقول الإمام الزَّمخشري: "(أفي اللَّه شكٌ)أدخلت همزة الإنكار على الظرف، لأن الكلام ليس في الشّك، وإنما هو في المشكوك فيه، وأنه لا يحتمل الشّك لظهور الأدلة وشهادتها عليه".[3]

" قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا"[4]

الاستفهام للإنكار والتَّقريع والتَّعجب.

يقول الإمام أَبو السُّعود: "والتَّعبيرُ عنه تعالى بالموصول للإشعار بعلية مَا في حيزِ الصِّلةِ لإنكار الكفرِ والتَّلويحِ بدليل البعثِ الذي نطَق به قوله عز من قائل: (يَا أَيُّهَا النَّاس إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ)[5] ".[6]

وهو لإنكار الواقع لا الوقوع لأنَّ صاحب الجنتين كفر فعلاً باللَّه واليوم الآخر وترجم بلسانهِ عمَّا يعتقدهُ فيهما بِقلبهِ.

---

[1] راجع ص142، 143 من هذا البحث .

[2] سورة إبراهيم الآية (10).

[3] الكُشَّاف ج2 ، ص496.

[4] سورة الكهف الآية (37).

[5] سورة الحج الآية (5).

[6] تفسير أبي السُعود، ج5، ص222.

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّـه عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَـهٌ غَيْرُ اللَّـه يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَلَا تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّه عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّه يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)[1]

الاستفهام (من إلهٌ)؟ للإنكار والنَّفي أن يكون في الوجود إله غير اللَّه يأتي بضياء يبدِّد ظلام اللَّيل، وبظلام يحلُّ مكان ضياء النَّهار، لانّ حركة الأفلاك التي ينشأ عنها اللَّيل والنَّهار ليس في مقدور أحد تنظيمها وتسييرها إلا اللَّه. وللتَّبكيت بالمشركين.[2]

(أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّه بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ)[3]

الاستفهام (أإله مع اللَّه) في هذه الآية والآيات الأربع التَّالية لها للإنكار والنَّفي.

يقول الإمام الزَّمخشري (أإله مع اللَّه)؟ أغيره يقرن به ويجعل شريكاً له)[4]

(وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّـه فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ)[5]

الاستفهام (فأنَّى يؤفكون) للإنكار والتَّعجيب والاستبعاد يقول الإمام أَبو السُّعود: "(فأنى يؤفكون) إنكار و استبعاد من جهته تعالى لتركهم العمل بموجبه أي فكيف يصرفون عن الإقرار بتفرده تعالى في الإلهية مع إقرارهم بتفرده تعالى فيما ذكر من الخلق والتَّسخير"[6]

---

[1] سورة القصص الآيتان : (71 ، 72).

[2] انظر: التفسير البلاغي للاستفهام ، ج3 ، ص210، 212.

[3] سورة النمل : الآيات (60، 63).

[4] الكُشَّاف ج3، ص345

[5] سورة العنكبوت الآية(61).

[6] تفسير أبي السُّعود، ج7 ، ص 46.

(يَا أَيُّهَا النَّاس اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّه عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّه يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) [1]

الاستفهامان للإنكار يُردف على الأَوَّل النَّفي ويُردف على الثَّاني التَّعجب والاستبعاد

يقول الإمام أَبو السُّعود[2](ت:898هـ) عن الاستفهام الأَوَّل: "هل من خالق غير اللَّه" "و لما كانت نعم اللَّه تعالى مع تشعب فنونها منحصرة في نعمتي الإيجاد والابقاء نفي أن يكون في الوجود شيءٌ غيره تعالى يصدر عنه احدي النِّعمتين بطريق الاستفهام الإنكاري المنادي باستحالة أنْ يُجاب عنه بنعم "[3]

ويقول عن الثَّاني "فأنَّي يؤفكون" لترتيب إنكار عدولهم عن التّوحيد إلي الإشراك على ما قبلهما" [4]

(ومَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَن بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلاَ يُنقِذُونِ) [5]

الاستفهامان للإنكار ويردف على الأَوَّل والتَّعريض و التَّقريع والارشاد وعلى الثَّاني النَّفي والتَّقريع.

يقول الإمام أَبو السُّعود عن الأَوَّل: "(ومالي لا أعبد الذي فطرني) تلطفٌ في الإرشاد بإيراده في معرض المناصحة لنفسه وإمحاض النُّصح حيث أراهم انه اختار لهم ما يختار لنفسه والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم إلي عبادة غيرهِ"[6]

ويقول عن الثَّاني: "أأتخذ من دونه آلهة" إنكار ونفي لاتخاذ الآلهة على الإطلاق".[7]

---

[1] سورة فاطر الآية (3).

(2) انظر ترجمته: ص117 من هذا البحث.

[3] تفسير أبي السُعود، ج7، ص142.

[4] المصدر السّابق، نفس الصّفحة.

[5] سورة يس الآيتان (21، 22)

[6] تفسير أبي السُعود، ج7 ، ص 163، 164.

[7] المصدر السابق، ج7 ، ص164.

(ذَلِكُمُ اللَّه رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ) [1]

الاستفهام للإنكار والتَّعجب والاستبعاد والإفحام .

"وجملة (لا إله إلا هو) بيان لجملة الحصر في قوله(لهُ المُلك) وفُرِّع عليه استفهام إنكاري عن انصرافهم عن توحيد اللَّه"[2].

ويقول الفخر الرَّازي[3](ت: 606هـ) "فأنَّي تُصرفون" تعجبٌ من هذا الانصراف، ولو كان الفاعل لذلك الصَّرف هو اللَّه تعالى لم يبق لهذا العجب معنيً"[4]

"وسْئل من أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ) [5]

الاستفهام للإنكار والنَّفي والتكذيب، و الإنكار فيه مسلطٌ على الواقع لأنَّ المراد تقرير خلو الّرسالات السابقة من إباحة عبادة غير اللَّه .

يقول صاحب "التَّحرير والتَّنوير" (وجملة أجعلنا) بدل من جملة (و اسأل) والهمزة للاستفهام وهو إنكاري".[6]

---

[1] سورة الزمر الآية (6) و نحوها قوله تعالى (ذَلِكُمُ اللَّه رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) سورة غافر الآية (62) .

[2] التَّحرير والتَّنوير ، ج23، ص 336.

[3] انظر ترجمتهُ : ص 130 من هذا البحث.

[4] التفسير الكبير ، ج 26، ص 214.

[5] سورة الزخرف الآية (45).

[6] التَّحرير والتَّنوير، ج25، ص 222.

(أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ) [1]

الاستفهام الأَوَّل (أفلم ينظروا) للإنكار والحث بعد التَّقرير فهو لتقريرهم بذلك النَّظر وإنكار على عدم تفكرهم وتدبرهم في تلك الدلالة الظَّاهرة الدالة على عظمة اللَّه وحث لهم لتحصيل ذلك.

يقول صاحب "التَّحرير والتَّنوير" : "والاستفهام يجوز أن يكون انكارياً والنَّظر نظر الفكر و يجوز أن يكون الاستفهام تقريرياً ، والنَّظر المشاهدة .. وهذا الوجه أَشد في النَّعي عليهم لاقتضائة أن دلالة المخلوقات المذكورة على إمكان البعث يكفي فيها مجرد النَّظر بالعين".[2]

(قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّه لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً قُلْ اللَّه أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّه تَفْتَرُونَ) [3]

الاستفهام (اللَّه أذن لكم) للإنكار والنَّفي والتكذيب.

يقول صاحب (التَّحرير والتَّنوير): "والاستفهام في أرأيتم و اللَّه أذن لكم أم على اللَّه تفترون" تقريري باعتبار الزامهم بأحد الأَمرين إما أن يكون اللَّه أذن لهم ، أو أن يكونوا مفترين على اللَّه وقد شِيبَ التَّقرير في ذلك بالإنكار على الوجهين... ومحل الإنكار ابتداءً هو جعلهم بعض ما رزقهم اللَّه حراماً عليهم"[4]

---

[1] سورة ق الآية (6).

[2] التَّحرير والتَّنوير، ج26، ص 285.

[3] سورة يونس الآية (59).

[4] التَّحرير والتَّنوير ، ج11، ص 208 ،209.

المطلب الثَّاني: النَّفي:

مما ورد به من أسلوب الاستفهام في آيات الأَحكام قوله تعالى :

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّه أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ) [1]

الاستفهام للنَّفي والنَّهي بعد الإنكار فهو ينفي أن يكون أحد اظلم من الكافر لأنَّه لا يصد عن عمارة المساجد الحسية بالبناء والتَّشييد والمعنوية بإقام الصَّلوات وفعل العبادات إلا كافر. وينهى عن ارتكاب ذلك الظُّلم.

يقول الإمام أَبو حيَّان[2]: " ولما كان هذا الاستفهام معناه النَّفي كان خبراً".[3]

ويقول الأَلوسي[4](ت:1270هـ) "ولا يراد بالاستفهام حقيقتهُ، إنّما هو بمعني النَّفي. أي لا أحد اظلم من ذلك"[5]

وما قيل في هذا الاستفهام يقال في بقية المواضيع الأربعة عشر التي ورد فيها تركيب (من أظلم) معطوفاً على ما قبله بالواو أو الفاء. [6]

(هَاأَنتُمْ هَؤُلاء جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنيا فَمَن يُجَادِلُ اللَّه عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً) [7]

الاستفهام للنَّفي والزَّجر بعد الإنكار عن الدفاع عن المجرمين فإنَّكم إن دافعتم عنهم في الدُّنيا وافلتوا من القضاء والعقوبة العاجلة فلن تستطيعوا الدفاع عنهم أمام اللَّه يوم القيامة – الذي لا تخفي عليه خافية.

---

[1] سورة البقرة الآية (114).

[2] انظر ترجمته: ص25 من هذا البحث.

[3] تفسير البحر المحيط ج1، ص 357

[4] انظر ترجمتهُ ص117 من هذا البحث.

[5] روح المعاني: ج1 ، ص 363.

[6] راجع ص89-91 من هذا البحث.

[7] سورة النساء الآية (109).

يقول الألوسي(ت:1270هـ): "والاستفهام كما قال الكرَخي: في الموضعين للنَّفي أي لا أحدٌ يجادل عنهم ولا أحد يكون عليهم وكيلاً".[1]

(وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبراهيم حَنِيفًا) [2] الاستفهام للنفي بعد الإنكار أي لا أحد أحسن ممن أسلم وجهه للَّه وحده، وأسلم وجْهَهُ هو مجازٌ مرسلٌ علاقته الجزئية والمراد به الكلية أي أسلم نفسه وخُصَّ الوجه بالذِّكر دون غيره لكونهِ أشرف أعضاء الإنسان لذلك نُهي عن ضربه عليهِ.

يقول الألوسي: "ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه للَّه" أي أخلص نفسه له تعالي لا يعرف لها رباً سواه... والاستفهام إنكاري وهو في معني النَّفي، والمقصود مدح من فعل ذلك على أتمَّ وجه".[3]

(مَّا يَفْعَلُ اللَّه بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّه شَاكِرًا عَلِيمًا) [4]

الاستفهام للنَّفي والعرض والحث بعد الإنكار فاللَّه عز وجل نفي عن نفسه أن يتشفَّى بتعذيب عباده أو يُدرك به ثأْراً عليهم ونحو ذلك مما يستحيل ولا يجوز في حقه ويحثهم على فعل الأسباب الدَّافعة لغضبه وعذابه وهي الشُّكر الذي هو الإيمان والعمل الصالح. يقول الإمام الزَّمخشري :"ما يفعل اللَّه بعذابكم" أيتشفى به من الغيظ؟ أم يُدرِك به الثأر؟ أم يستجلب به نفعاً؟ أم يسْتدفع به ضرراً كما يفعل الملوك بعذابهم؟ وهو الغني الذي لا يجوز عليه شيءٌ من ذلك"[5] ويقول الإمام أَبو السُّعود "ما استفهامية مفيدة للنفي على أَبلغ وجهٍ وآكدهُ أي أيّ شيء يفعل اللَّه سبحانه بتعذيبكم أيتشفَّى به من الغيظ؟"[6]

---

[1] روح المعاني ،ج5 ، ص 142.

[2] سورة النساء الآية (125).

[3] روح المعاني ،ج 5، ص 154.

[4] سورة النساء الآية (147).

[5] الكُشَّاف ، ج1 ، ص 542.

[6] تفسير أبي السُّعود ، ج2 ، ص 247.

(أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلآئِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا) [1]

الاستفهام للنفي والتكذيب والتَّوبيخ والوعيد بعد الإنكار لفرية نسب الولد إلي اللَّه تعالى بأنَّه خصهم بالبنين وخص نفسه بالبنات تعالى اللَّه عن ذلك علواً كبيراً.

يقول الإمام الزَّمخشري: "أفأصفاكم" خطاب للذين قالوا "الملائكة بنات اللَّه" والهمزة للإنكار يعني أفخصَّكم ربكم على وجه الخلوص والصَّفاء بأفضل الأَوْلاد وهم البنون، لم يجعل فيهم نصيباً لنفسهِ ، واتَّخذ أَدونهم وهي البنات؟". [2]

(وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللَّه مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ) [3]

الاستفهام للنَّفي بعد الإنكار وهو أن اللَّه لم يكره النَّاس على إتباع شرعه ولم يكلف رسله بذلك وإنما كلفهم بتبليغ شرعه وترك إتباع النَّاس له طوعاً. يقول الإمام أَبو السُّعود: "أي ليست وظيفتهم إلا تبليغ الرسالة تبليغاً واضحاً أو موضحاً وإبانة طريق الحق وإظهار أحكام الوحي" [4]

(اللَّه لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ) [5]

الاستفهام للنَّفي بعد التَّقرير بانعدام وجود من يشفع للخلق عند اللَّه يوم القيامة من غير أن يأذن اللَّه له بذلك. يقول الإمام أَبو حيَّان: "من ذا الذي يشفع عنده" هو استفهامٌ في معني النَّفي أي لا أحدٌ يَشفعُ عنده إلا مأذوناً له". [6]

---

[1] سورة الإسراء الآية (40).

[2] الكُشَّاف ،ج2 ، ص 610.

[3] سورة النحل الآية (35).

[4] تفسير أبي السُّعود ، ج5 ، ص 112.

[5] سورة البقرة الآية (255).

[6] البحر المحيط ، ج2 ، ص 278 ، 279.

(يَا أَيُّهَا النَّاس اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّه عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّه يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) [1]

الاستفهام للنفي بعد الإنكار أن يكون في الوجود شيء غير اللَّه تعالي قادر على أن يخلق ويرزق أو يفعل إحداهما. يقول الإمام أَبو السُّعود: "ولما كانت نعم اللَّه تعالى مع تشعب فنونها منحصرة في نعْمتيَ الإيجاد والإبقاء نفي أن يكون في الوجود شيء غيره تعالى يصدر عنه إحدى النِّعمتين بطريق الاستفهام الإنكاري المنادي باستحالة أن يُجاب عنه بنعم"[2]

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّه وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [3]

الاستفهام للنَّفي والحث بعد الإنكار أي نفي الأحسنية عن الأقوال الخارجة عن مجال الدعوة إلي اللَّه وإثباتها لأقوال الداعين إلي اللَّه إذا وافقت أفعالهم أقوالهم وحث على تحصيل ذلك.

يقول الألوسي: "و الاستفهام في معني النَّفي أي لا أحد أحسن قولاً ممن دعا إلي اللَّه(وَعَمِل صالِحاً) أي عملاً صالحاً أيّ عمل صالح كان"[4]

(هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) [5]

الاستفهام للنَّفي والبشارة والتَّبكيت فهو بشارة للمؤمنين بأنه ما جزاء الإحسان في العمل إلا الإحسان في الجزاء وتبكيت للكافرين بأنه ما جراء الإساءة في العمل إلا الإساءة في الجزاء أي "أن كل من أحسن أحسن إليه وكل من أساء أساء إليه"[6] يقول صاحب (التَّحرير والتَّنوير) : "والاستفهام مستعمل في النَّفي، ولذلك عُقب بالاستثناء فأفاد حصر مجازاة الإحسان في أنَّها إحسان".[7]

---

[1] سورة فاطر الآية (3).

[2] تفسير أبي السُّعود ، ج7 ، ص 142.

[3] سورة فصلت الآية (33).

[4] روح المعاني ،ج24، ص122.

[5] سورة الرحمن الآية (60).

[6] الكُشَّاف ،4ج ، ص312.

[7] التَّحرير والتَّنوير ، ج27 ، ص 271.

المطلب الثَّالث: التَّعجيب

مما ورد به من أسلوب الاستفهام في آيات الأَحكام قوله تعالى: (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا أَاطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) [1]

هذه الاستفهامات الثلاث للتَّعجيب بعد الإنكار ويردف عليها في الاستفهامين الأخيرين التَّكذيب والإفحام.

يقول الإمام أَبو السُّعود عن الأَوَّل: " فالهمزة للتَّعجيب من حالة، و الإيذان بأنَّها من الغرابة والشَّناعة بحيث يجب أن تُري ويقضي منها العجب و الفاء للعطف على مقدَّرٍ يقتضيه المقام، أي أنظرت فرأيت الذي كفر بآياتنا... أي انظر إليه وتعجَّب من حالته البديعة وجرأته الشَّنيعة"[2]

وهذا الاستفهام أي (أفرأيت) قد جرت عادة البلاغيين والمفسِّرين أن يفسروه بمعني (أَخْبِرني)فإذا لم يكن هذا التَّفسير متوافقاً مع السِّياق عدلوا عنْه إلي (أَخْبِر) بدون المفعول كما في هذه الآية التي جزم الألوسي أن (أرأيت) فيها لا يصح تفسيرها بـ(أَخْبِرني) يقول:

"و إرادة أَخْبِرني – هنا مما لا يكاد يصح، كما لا يخفي"[3]

لذلك رأي صاحب (التَّفسير البلاغي للاستفهام) أن الأَوَّلي أنْ يُحمل هذا الأسلوب الاستفهامي لإرادة لفت الأنظار نحوَ معمول الرؤية المستفهَم عنه واستحضار صورته في الذهن ليُحكم عليه وهو ماثلٌ فيها[4] وقد أجاد بذلك وأفاد.

---

[1] سورة مريم الآيتان (77 ، 78).

[2] تفسير أبي السُّعود ، ج5، ص 279.

[3] روح المعاني ، ج16، ص 130

[4] انظر : التفسير البلاغي للاستفهام، ج2 ، ص 291 ، 292 ، ج3 ، ص210 ،ج4 ، ص 374 ، 375 ، ،ص 396.

أما الاستفهام الثَّاني(اطَّلع الغيب) فهو انكار أن يكون قد توصل إلي ما ادعاه عن طريق اطِّلاعه بعلم الغيب وتعجيب من ادعاءه وتكذيب له.

يقول الإمام أَبو السُّعود: "(اطَّلع الغيب) ردٌ لكلمته الشنعاء وإظهار لبطلانها إثْر ما أشير إليه بالتَّعجيب منها"[1]

إما الاستفهام الثَّالث (أم اتَّخذَ عند الرَّحمن عهداً) فالظَّاهر أن (أم) هنا متصلة، ومعناها مع معني الهمزة في (اطَّلع) والمراد أن أَيّاً من الأَمرين لم يحدث لا الاطِّلاع إلى علم الغيب ولا اتّخاذ عهد عند الَّرحمن. [2]

يقول الإمام الزَّمخشري: " والمعني: أن ما ادَّعي أن يؤتاهُ و تألَّى عليه (أي اقسم) لا يُتوصل إليه إلا بأحد هذين الطَّريقين: إما علم الغيب، وإما عهد من عالم الغيب فبأيهما توصل إلي ذلك"[3]

(قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ) [4]

الاستفهام الثَّاني(فأنَّي تُسحَرون) للتَّعجيب والتَّهويل بعد الإنكار لغفلتهم وذهولهم عما يجب الاعتداد به من صفات اللَّه مع علمهم بها. فحالهم هذه تدعو إلي التَّعجُب والتَّعجيب من أمرهم.

يقول صاحب(التَّحرير والتَّنوير): " الاستفهام تعجيبي والسّحر مستعار لترويج الباطل بجامع تخيُّل ما ليس بواقع واقعاً . والمعني فمن أين اختل شعوركم فراج عليكم الباطل".[5]

---

[1] تفسير أبي السُّعود، ج5، ص 279.

[2] انظر: التفسير البلاغي للاستفهام ، ج2 ، ص 291.

[3] الكُشَّاف، ج3 ، ص36.

[4] سورة المؤمنون الآيتان (88، 89).

[5] التَّحرير والتَّنوير، ج18 ، ص112.

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ)[1]

الاستفهام للتَّعجيب بعد التَّقرير باعتبار المخاطب والتَّوبيخ و الوعيد باعتبار المتحدث عنهم الذين نهوا عن التناجي بالسوء وهم اليهود وحلفاؤهم المنافقون.

يقول الإمام أَبو السُّعود[2](ت:898هـ):

" (ألم تر إلي الذين نُهُوا عن النَّجوى ثم يعودون لما نُهوا عنْهُ) نزلت في اليهود والمنافقين... والهمزة للتَّعجيب من حالهم وصيغة المضارع للدَّلالة على تكرار عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة"[3]

(أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صلَّى) [4]

الاستفهام للتَّعجيب بعد الإنكار لأن فِعله هذا يستحق أن تُلفت نحوهُ الأنظار وتتعجب منه لغرابته.

يقول الإمام أَبو السُّعود: "(أرأيت الذي ينهي عبداً إذا صلَّى) تقبيح وتشنيعٌ لحاله وتعجيبٌ منها وإيذان بأنَّها من الشَّناعة والغرابة بحيث يجب أن يراها كل من يتأتي منه الرؤية ويقضي منها العَجب"[5]

---

[1] سورة المجادلة الآية (8).

[2] انظر ترجمتهُ: ص117 من هذ البحث.

[3] تفسير أبي السُّعود ،ج2 ، ص 219.

[4] سورة العلق الآية (9 ،10).

[5] تفسير أبي السُّعود ،ج9 ، ص179.

المطلب الرَّابع: الامتنان

مما ورد به من أسلوب الاستفهام في آيات الأَحكام قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّه يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّه بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) [1]

الاستفهام للامتنان على العباد بعد التَّقرير ليتذكروا هذه النِّعم ويؤدوا شكرها وحثهم والزامهم بذلك.

"هذا الاستفهام للتَّقرير والامتنان والإلماح إلي كمال قدرة اللَّه عز وجل"[2]

(أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّه سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاس مَن يُجَادِلُ فِي اللَّه بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ)[3]

الاستفهام للامتنان والحث والالزام بعد التَّقرير لجميع البشر يقول صاحب (التَّحرير والتَّنوير) "لم تروا أن اللَّه سخر لكم ما في السَّماوات..." رجوع إلي تعداد دلائل الوحدانية وما صحب ذلك من مِنَّةٍ على الخلق.. فإنه بعد الاستدلال بخلق السَّماوات والأرض والحيوان والأمطار عاد هنا للاستدلال والامتنان بان سخر لنا ما في السَّماوات وما في الأرض".[4]

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّه لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) [5]

الاستفهام للامتنان والحث والالزام بعد التَّقرير فاللَّه يمُنُّ علينا في هذه الآية بأن جعل لنا من ماء البحر وسيلة لأسفارنا وترحالنا لنشهد بقدرته ووحدانيته يقول الإمام أَبو

---

[1] سورة لقمان الآية (29).

[2] التفسير البلاغي للاستفهام ، ج3 ، ص 257.

[3] سورة لقمان الآية (20).

[4] التَّحرير والتَّنوير ، ج 21 ، ص 173 ، 174.

[5] سورة لقمان الآية (31).

السُّعود:"أَلم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة اللَّه هو استشهادٌ آخر على باهر قدرتهِ وغاية حكمتهِ وشمول إنعامهِ"[1]

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّه أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ) [2]

الاستفهام للامتنان والحث والإلزام بعد التَّقرير بلفت الأنظار إلي قدرة اللَّه في إنزال المطر وبديع صُنعه في الجبال وتسخير تلك النِّعم للإنسان.

يقول الألوسي[3]: " والاستفهام للتقرير، والرؤية قلبية لأن إنزال المطر وإن كان مُدركاً بالبصر لكن إنزال اللَّه تعالي إياه ليس كذلك"[4]

(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ) [5]

الاستفهام للامتنان والحث والإلزام والتَّذكير بعد التَّقرير.

يقول صاحب (التَّحرير والتَّنوير):"وفي خلال هذا الامتنان إدماجُ شيء من دلائل الانفراد بالتَّصرف في الخلق المُبطِلة لإشراكهم إياهُ غيره في العبادة وذلك في قوله(أنَّا خلقنا)"... لان معناهُ: أودعنا لهم في أضراعها ألباناً يشربونها وفي أبدانها أوباراً وأشعاراً ينتفعون بها" [6]، إلا أنَّهُ صرح بأنّ الاستفهام هُنا للإنكار وهو ليس كذلك بل هو للتَّقرير.

---

[1] تفسير أبي السُّعود ،ج7، ص 77.

[2] سورة فاطر الآية (27).

[3] انظر ترجمتهُ ص117 من هذا البحث.

[4] روح المعاني ، ج22، ص 189.

[5] سورة يس الآية (71).

[6] التَّحرير والتَّنوير، ج23 ، ص 67 ، 68.

(أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاء وَأَمْوَاتًا وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاء فُرَاتًا) [1]

الاستفهام للامتنان والحث و الإلزام والتَّذكير بعد التَّقرير للخلق بأنَّهُ تعالى جعل لهم الأرض مأوىً وضاماً لتأوي الأحياء على ظهرها والأموات في بطنها[2] وجعل لهم جبالاً ثوابت شواهق وخلق فيها انهاراً ومنابع. [3]

يقول صاحب (التَّحرير والتَّنوير) : "جاء هذا التَّقرير على سُنن سابقَيه في عدم العطف لأنه على طريقة التّكرير والتَّوبيخ، وهو تقرير لهم بما انعم اللَّه به عليهم من خلق الأرض لهم بما فيها مما فيه منافعهم.. ومحل الامتنان هو قوله (أحياءً) وأما قوله(أمواتا) فتتميمٌ وإدماجٌ "[4]

---

[1] سورة المرسلات الآية (25).

[2] أنظر الكُشَّاف، ج4 ، ص 518.

[3] انظر تفسير أَبو السُّعود ج9 ، ص 80.

[4] التَّحرير والتَّنوير ، ج29 ، ص 432.

المطلب الخامس: التَّذكير

مما ورد به من أسلوب الاستفهام في آيات الأَحكام قوله تعالى:

(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاس مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّه يَكْفُرُونَ) [1]

الاستفهام الأَوَّل للتَّذكير والامتنان بعد التَّقرير بهذه النِّعمة الجليلة وهي نعمة الأمن من الأهوال والقتل التي امتنَّ اللَّه بها على مشركي مكة.

يقول الإمام الزَّمخشري: " كانت العرب حول مكة يغزوا بعضهم بعضاً ويتغارون ويتناهبون وأَهْل مكة قارُّون آمنون فيها لا يُغزَون ولا يُغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب، فذَّكرهم اللَّه هذه النِّعمة الخاصّة عليهم، ووبَّخهم بأنَّهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه ومثل هذه النِّعمة .. مكفورةٌ عندهم" [2]

(أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِن لَّدُنَّا) [3]

الاستفهام للتّذكير والامتنان بعد التَّقرير لمشركي مكة بهذه النِّعم وهي الإطعام من الجوع والأمان من الخوف حينما اعتذروا للنّبي – صلَّى اللَّه عليه وسلَّم – عن عدم دخولهم الإسلام بأنهم قلة يخافون أن تبطش بهم العرب وتخرجهم من أرضهم إنْ هم خالفوهم واتبعوا – النَّبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم .

يقول صاحب تفسير (التَّحرير والتَّنوير) :"وقد حصل في خلال الرد لقولهم إدماج للامتنان عليهم بهذه النِّعمة ليحصل لهم وازعان عن الكفر بالنِّعم وازع ابطال معذرتهم عن الكفر، ووازع التَّذكير بنعمة المكفور به".[4]

---

[1] سورة العنكبوت الآية (67)

[2] الكُشَّاف ، ج3 ، ص 426

[3] سورة القصص الآية (57)

[4] التَّحرير والتَّنوير ،ج20 ، ص 149

إلا أنَّ ابن عاشور[1](ت:1393هـ) جعل المعني الأصلي لهذا الاستفهام هو الإنكار بقوله: "والاستفهام إنكار أن يكون اللَّه لم يمكِّن لهم حرماً"[2] و الأظهر أنَّهُ لتقريرهم وتذكيرهم بهذه النِّعمة.

(أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ) [3]

الاستفهام للتَّذكير والإلزام والتَّوبيخ بعد التَّقرير فهذا الخطاب الرَّهيب تذكير لبني آدم في الدُّنيا وعند المحشر بما بعث اللَّه به الرسل لإقامة الحجة عليهم.

يقول صاحب تفسير (التَّحرير والتَّنوير): "والاستفهام تقريري، وخُوطبوا بعنوان(بني آدم) لان مقام التَّوبيخ على عبادتهم الشيطان يقتضي تذكيرهم بأنهم أبناء الذي جعلهُ الشيطان عدواً له" [4]

(هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا) [5]

الاستفهام للتذكير والأخبار والتحقيق والتَّقرير. وقد ذهبت جماعةٌ من النَّحويين والبلاغيين بان هل قد تأتي بمعني (قد) [6] والمعني هنا (قد أتي على الإنسان حين من الدهر) فهذا لا اعتراض فيه ولكن من غير المسلَّم به قولهم أن هل إذا استعملت في الاستفهام كان الأصل أن يؤتي معها بالهمزة (أهل) و أنَّهُ لما كثر وقوعها في الاستفهام

---

[1] انظر ترجمتهُ: ص179 من هذا البحث.

[2] التَّحرير والتَّنوير ، ج20 ، ص 149.

[3] سورة يس الآية ، (30 ،61).

[4] التَّحرير والتَّنوير ، ج23 ، ص 46.

[5] سورة الإنسان الآية (1).

[6] راجع ص 26من هذا البحث.

تُركت الهمزة،[1] فهذه المجامعة بين (الهمزة) و (هل) غير مقبولة لغة وبلاغة وذوقاً لامتناع دخول أداةُ استفهام على أخرى ولأنّ البلاغيين فرقوا بين ما يفيدهُ الاستفهام بالأداتين فقرروا أن الاستفهام بـ(الهمزة) يفيد التَّصور أو التَّصديق وبـ(هل) يفيد التَّصديق فقط.

فالاستفهام لتذكير البشر بانعدام وجودهم في الزمن الذي سبق خلق آدم –عليه السَّلام – لتقرير وحدانية اللَّه قبل خلق الوجود وعند خلق الوجود وبعد فناء الوجود.

يقول ابن فارس[2](ت: 395هـ) "قد يكون اللَّفظ استخباراً والمعني إخبار وتحقيق، نحو قوله جل ثناؤه (هل أتي على الإنسان حين من الدهر) قالوا: معناه قد أتي"[3]

---

[1] أنظر : الكُشَّاف: ج4 ،ص 506 . الإيضاح ضمن شروح التلخيص ج2 ، ص 260.

[2] انظر ترجمته: ص19 من هذا البحث.

[3] راجع ص 42 ، من هذا البحث.

(فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ) [1]

الاستفهام للتَّذكير والتَّنبيه والتَّعجيب بعد التَّقرير فهو لتذكير الإنسان ببدء خلقه وتنبيهه ليتأمل في نفسه ويتفكر في أعضاء جسمه ليتدبر قدرة اللَّه وبديع صنعه والتَّعجيب من أمر الإنسان كيف يطغي وهو خُلق من ماء مهين.

يقول صاحب تفسير(التَّحرير والتَّنوير):

"والنَّظر: نظر العقل، وهو التَّفكُّر المؤدِّي إلي علم شيء بالاستدلال فالمأمور به نظر المنكر للبعث في أدلة إثباته والاستفهام مستعمل في الإيقاظ والتَّنبيه إلي ما يجب علمه" [2]

(أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) [3]

الاستفهام للتَّذكير والامتنان والتَّكريم والتَّسلية بعد التَّقرير للنبي – صلَّى اللَّه عليه وسلَّم – بهذه الخصائص التي اختصه اللَّه بها وتسليةٌ له وتبهيج لقلبه مما لاقاه من أذي المشركين.

يقول صاحب تفسير (التَّحرير والتَّنوير)

"الم نشرح لك صدرك"... استفهام تقريري على النَّفي والمقصود التَّقرير على إثبات المنفي ... وهذا التَّقرير مقصود به التَّذكير لأجل أن يُراعي هذه المنَّة عندما يخالجه ضيق صدر مما يلقاه من أذي قوم يريد صلاحهم وإنقاذهم من النَّار".[4]

---

[1] سورة الطارق الآية (5 ، 6).

[2] التَّحرير والتَّنوير ، ج30 ، ص 261.

[3] سورة الشرح الآية (1).

[4] التَّحرير والتَّنوير ج30 ، ص 408.

المطلب السَّادس: التَّشويق

مما ورد به من أسلوب الاستفهام في آيات الأَحكام قوله تعالى:

(قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّه وَاللَّه بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) [1]

الاستفهام للتَّشويق والتَّرغيب والتَّقرير لسماع هذا النبأ الذي هو خير مما ذكر قبله وذلك لجعل السَّامع يتطلع ويتشوق لمعرفة ما سيُذكر.

يقول الإمام أَبو السُّعود[2]: "إثرَ ما بيَّن بشأن مزخرفات الدُّنيا وذِكر ما عنده تعالى من حُسن المئاب اجمالاً أمر النَّبي – صلَّى اللَّه عليه وسلَّم – بتفاصيل ذلك المجمل للناس مبالغة في التَّرغيب والخطاب للجميع والهمزة للتَّقرير أي أأخبركم بما هو خير مما فصِّل .. وإبهام الخير لتفخيم شأنهِ والتَّشويق إليه".[3]

---

[1] سورة آل عمران الآية (15)

[2] انظر ترجمتهُ: ص117 من هذا البحث.

[3] تفسير أبي السُّعود ، ج2 ، ص 15

المطلب السَّابع: التأكيد

مما ورد به في أسلوب الاستفهام في آيات الأَحكام قوله تعالى:

(وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ) [1]

الاستفهام الثَّاني توكيد للاستفهام الأَوَّل الذي هو للزَّجر و التَّوبيخ بعد الإنكار، وذلك بما في الثَّاني من عنصري التوكيد وهي(إنّ) و (اللام) فتأكد بذلك إثباتهم للفاحشة التي هي إتيانهم للرجال دون النساء.

يقول الألوسي[2]: "وقوله تعالى(أئنكم لتأتون الرجال شهوة) تثنيه للإنكار وبيان لما يأتونه من الفاحشة بطريق التَّصريح بعد الإبهام، وتحلية الجملة بحرفي التَّأكيد للإيذان بأن مضمونها مما لا يصدق وقوعه أحدٌ لكمال شناعته"[3]

---

[1] سورة النمل الآيتان (54 ، 55).

[2] انظر ترجمتهُ: ص117 من هذا البحث.

[3] روح المعاني ،ج19 ، ص 216.

المبحث الثَّاني: معاني الاستفهام الطَّلبية

المطلب الأَوَّل: التَّقرير

(مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّه عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّه لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ....) [1]

الاستفهام للتَّقرير والأَمر بالاعتقاد في وقوع النَّسخ في القرآن وهو إبدال حكم شرعي بآخر لحكمة تشريعية.

يقول الإمام الزَّمخشري[2] "لما بين لهم انه مالك أمورهم و مديرها على حسب مصالحهم من نسخ الآيات وغيره وقررهم على ذلك بقوله:(ألم تعلم) أراد أن يوصيهم بالثقة به"[3]

ويقول صاحب (التَّحرير والتَّنوير) :"والاستفهام تقريري على الوجهين وهو شأن الاستفهام الداخل على النَّفي". [4]

وهو بذلك يشير إلي ما أجمع عليه البلاغيون مِن أنَّ الهمزة إذا دخلت على أداة النَّفي، نفت ذلك النَّفي فيصير اثباتاً ويكون المراد به هو التَّقرير ولم يُسمع عن العرب استفهام دخل على النَّفي وأرادوا به غير التَّقرير. [5]

و هذا الاستفهام له نظائر كثيرة في القرآن مرت بنا بعضها في المعاني المردوفة على التَّقرير وهي الامتنان[6] والتَّذكير[7] و ستمر بنا الباقية في الصَّفحات التَّالية.

---

[1] سورة البقرة الآيتان (106 ، 107).

[2] انظر ترجمتهُ ص47 من هذا البحث.

[3] الكُشَّاف ، ج1 ، ص 166.

[4] التَّحرير والتَّنوير ، ج1 ، ص 665.

[5] انظر : المصدر السابق، ج1 ، ص 605.

[6] راجع ص 195-197من هذا البحث.

[7] راجع ص 198-201 من هذا البحث.

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّه مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ) [1]

الاستفهام للتَّقرير والتَّعجيب والتَّنبيه

يقول الإمام الزَّمخشري:"(ألم تر) تقرير لمن سمع بقصتهم من أَهل الكتاب وأخبار الأَوَّلين وتعجيب من شأنهم"[2]

ويقول أَبو حيَّان[3](ت:745هـ)" همزة الاستفهام دخلت على حرف النَّفي فصار الكلام تقريراً فيمكن أن يكون المخاطب علم بهذه الصفة قبل نزول هذه الآية ويجوز أن يكون لم يعرفها إلا من هذه الآية، ومعناه التَّنبيه والتَّعجيب من حال هؤلاء"[4]

(أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّه وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّه لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [5]

الاستفهامات للتَّقرير لإثبات الخيرية لبناء التقوى و الرّضوان والتَّنبيه.

يقول الشَّيخ محمَّد رشيد[6](1354هـ) "أفمن أسس بنيانه على تقوى من اللَّه..) هذا بيان مستأنف للفرق بين أهل المسجدين في مقاصدها وورد بصيغة استفهام التَّقرير، لما فيه من تنبيه الشُّعور وقوة التَّأَثير".[7]

---

[1] سورة البقرة الآية (243).

[2] الكُشَّاف ،ج1 ، ص 271.

[3] انظر ترجمته، ص25 من هذا البحث.

[4] تفسير البحر المحيط ، ج2 ، ص 249.

[5] سورة التوبة الآية (109).

[6] انظر ترجمته، ص179 من هذا البحث.

[7] تفسير القرآن الكريم(الشهير بتفسير المنار) ، محمد رشيد رضا، دار المعرفة ، بيروت، ط2 ، ج 11، ص 44، 45.

(قَالُواْ فَمَا جَزَآؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ) [1]

الاستفهام للتَّقرير بنوع العقوبة التي توقع على السَّارق في شريعة يعقوب عليه السَّلام والإلزام بها "وذلك أن دين الملك كان يأخذ المجني عليه من السَّارق مثلي السرقة، وكان دين يعقوب أن يُسترقّ السَّارق فأخذ يوسف أخوته بما في دين يعقوب بإقرارهم بذلك وتسليمهم فيه.. إذ كان لا يري استرقاق السَّارق إلا أن يشاء اللَّه ، فكيف التزام الاخوة لدين يعقوب بالاسترقاق، فقضي عليهم به".[2]

(قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّه) [3]

الاستفهام للتَّقرير والاستدراج والإلزام فهو لتقرير المشركين بربوبية اللَّه لتجريدهم من أوهامهم، و فيه استدراج لهم لإقامة الحجة عليهم والزامهم بها.

يقول الإمام الزَّمخشري: "وهذا كما يقول النَّاظر لصاحبه: فيحكي إقراره تقريراً له عليه و استيثاقاً منه ثم يقول له: فيلزمك على هذا القول كيت وكيت"[4]

---

[1] سورة يوسف الآية (74).

[2] أحكام القرآن لابن العربي ، ج3 ، ص 1099.

[3] سورة الرعد الآية (16).

[4] الكُشَّاف ، ج2 ، ص 477.

(قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) [1]

الاستفهام للتقرير بالأسباب التي ملك اللَّه بها الأرض ومن عليها واقرار الكافرين بذلك هو إقرار منهم بأن اللَّه هو الذي خلق فملك ولو لم يقروا بذلك نطقا لزمهم الإقرار بذلك عقلاً.

يقول صاحب تفسير (التَّحرير والتَّنوير):

"والاستفهام تقريري ، أي اجيبوا عن هذا ولا يسعهم إلا الجواب بأنها للَّه. والمقصود اثبات لازم جوابهم وهو انفراده تعالى بالوحدانية"[2] ونحوه يقال في قوله تعالي(قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) [3]

وقوله تعالي (قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) [4]

وقد روعي في هذه الآيات الثَّلاث قضية التَّرقي من الأدنى إلي الأعلى ومن الجزء إلي الكل فسئل عمن له الأرض ومن فيها، ثم سئل عمن له السَّماوات والعرش العظيم والأرض، ثم سئل عمن بيده ملكوت كل شيء فأُتِيَ بأعم العام وهو الملك الواسع[5] وهذا منهج استدلالي حكيم للقرآن في ميدان الحجاج لإلزام الخصوم بالانصياع للحق، وفن بديعي يَطلق عليه علماء البلاغة مصطلح(التفريق والجمع). [6]

---

[1] سورة المؤمنون الآية (84).

[2] التَّحرير والتَّنوير ، ج18 ، ص 106.

[3] سورة المؤمنون الآية (86).

[4] سورة المؤمنون الآية (88).

[5] انظر: روح المعاني ، ج18 ، ص58.

[6] المصباح ، ص 244، مفتاح العلوم ص 535.

(أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماوات وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) [1]

الاستفهام الأَوَّل للتَّقرير والتَّبكيت فهو تقرير للمشركين بخلق اللَّه للسماوات والأرض وقد كانتا ملتصقتين وذلك قبل خلق الملائكة والجن والإنس ثم فتقهما اللَّه بان رفع السماوات وبسط الأرض[2] وقررهم اللَّه بذلك ولم يشاهدوه بل ولم يشهده أحد من الملائكة أو الثَّقلين لتبكيتهم بعجز آلهتهم التي يعبدونها عن أخبارهم بأخبار بدء الخليقة لأنَّها خُلقت ولم تَخلِق شيئاً وفي ذلك مخاطبة لعقولهم ودحض لكل الُّشبهات الداعية للشِّرك باللَّه .

يقول الإمام الزَّمخشري "فان قلتَ متي رأوهما رتقاً حتَّى جاء تقريرهم بذلك؟ قلتُ فيه وجهان:

أحدهما: أنَّه وارد في القرآن الذي هو معجزة في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد .

والثَّاني: أن تلاصق الأرض والسَّماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه) [3]

(حتَّى إِذَا جَاؤُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) [4]

الاستفهامات للتقرير يردف على الأَوَّل الإنكار والتَّوبيخ ويردف على الثَّاني التوقيف والإفحام والتَّبكيت فالمراد منهما تقرير الكفار بكذبهم وانكاره عليهم وتطويقهم من كل جهة وتوقيفهم على انهم مكذبون وتبكيتهم بذلك لان ذلك يكون عند قيام الساعة حيث لا رجوع للدنيا مرة أخرى لإصلاح العمل.

يقول صاحب تفسير (التَّحرير والتَّنوير):

---

[1] سورة الأنبياء الآية (30).

[2] انظر الإعجاز العلمي والجغرافي في القرآن، د. فوزي الشربيني ، المكتبة العصرية ، مصر ، د ط ، 2007م، ص 4.

[3] الكُشَّاف، ج3 ، ص 103.

[4] سورة النمل الآية (84).

"وقوله (أكذبتم بآياتي) قول صادر من جانب اللَّه تعالي يسمعونه أو يبلغهم إياهُ الملائكة.

والاستفهام يجوز أن يكون توبيخياً مستعملاً في لازمه وهو الإ لجاء إلي الاعتراف بأن المستفهم عنه واقعٌ منهم تبكيتاً لهم".[1]

(أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ) [2]

الاستفهام للتَّقرير بذلك النَّظر في دلائل وجود اللَّه وقدرته في الكون والإنكار على عدم تفكرهم وتدبرهم والحث لتحصيل ذلك .

يقول صاحب تفسير (التَّحرير والتَّنوير) " والاستفهام يجوز أن يكون انكارياً والنَّظر نظر الفكر... ويجوز أن يكون الاستفهام تقريرياً والنَّظر المشاهدة، ومحل التَّقرير هو فعل ينظرون"[3]

(فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) [4]

الاستفهام للتَّقرير والإنكار فهو يصح أن يكون تقريرياً لتقرير المخاطبين بالاعتراف بنعم اللَّه الظاهرة في كل مكان ويصح أن يكون انكارياً ينكر على الذين يجحدون نعمة واحدة من أنعم اللَّه أو ينسون شكرها.

يقول صاحب تفسير (التَّحرير والتَّنوير):" (أيّ) استفهام عن تعيين واحد من الجنس الذي تضاف إليه وهي هنا مستعملة في التَّقرير بذكر ضد ما يقر به"[5]

ونحو ذلك يقال في قوله تعالى :(فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكَ تَتَمَارَى) [6] أي تتشكك .

---

[1] التَّحرير والتَّنوير ، ج20 ، ص 40.

[2] سورة ق الآية (6).

[3] التَّحرير والتَّنوير ، ج26 ، ص 285.

[4] سورة الرحمن في احدي ثلاثين اية اولاهم الآية (13).

[5] التَّحرير والتَّنوير ، ج27 ، ص 243,

[6] سورة النجم الآية (55).

(أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى) [1]

الاستفهام للتَّقرير والتَّذكير للإنسان بأَصله انه مخلوق من المني الذي جرى على مخرج النجاسة فلذلك لا يليق بمثله أن يتمرد عن طاعة اللَّه أو يستبعد اعادة بعثه بعد موته.[2]

يقول الالوسي:" وقوله (ألم يك نطفة..) استئناف وارد لإبطال الحسبان المذكور فإنَّ مداره لما كان استبعادهم للإعادة؛ دُفع ذلك ببدء الخلق".[3]

---

[1] سورة القيامة الآية (37 ، 38).

[2] انظر: التفسير الكبير، ج30 ، ص234.

[3] روح المعاني، ج 29 ، ص 149.

المطلب الثَّاني: الأَمر

مما ورد به من أسلوب الاستفهام في آيات الأَحكام قوله تعالى:

(فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللَّه بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) [1]

الاستفهام للأمر والتَّحضيض والاستبطاء بعد التَّقرير لليهود و النَّصارى ومشركي العرب بإتباعهم للإسلام وقد حمل بعض العلماء هذا الاستفهام على الحقيقة أي : هل حدث منكم الإسلام. [2] وحمله البعض الآخر على انه استفهام بلاغي يفيد التَّقرير المتضمن للأمر أي أَسلموا وهو الأظهر بدليل تعقيبهُ بقوله تعالي: (فان اسلموا فقد اهتدوا...)

يقول الإمام أَبو حيَّان[3]: "(أأَسْلمتُم) تقرير في ضمنه الأَمر"[4]

ويقول الألوسي[5]: "(أأسلمتم) متبعين لي كما فعل المؤمنون فإنَّه قد جاءكم من الآيات ما يوجبه ويقتضيه والكثيرون على أن الاستفهام للتَّقريروفي ضمنه الأَمر"[6]

(وَإِذْ أَخَذَ اللَّه مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ) [7]

---

[1] سورة آل عمران الآية (20).

[2] انظر: الكُشَّاف، ج1 ، ص324.

[3] انظر ترجمته: ص25 من هذا البحث.

[4] البحر المحيط ج2 ، ص 413

[5] انظر ترجمته ص117 من هذا البحث.

[6] روح المعاني ، ج3 ، ص 108

[7] سورة آل عمران الآية (81)

الاستفهام للأمر بعد التَّقرير لجميع الأنبياء والرسل قبل النَّبي محمد صلَّى اللَّه عليه وسلَّم بإعطاء الميثاق للَّه عز وجل بنصرته – صلَّى اللَّه عليه وسلَّم – وإتباع رسالته إذا حضر احدهم بعثته.

يقول الإمام أَبو حيَّان :" وفي أقررتم خوطب به الأنبياء المأخوذ عليهم الميثاق ... لم يكتف بأخذ الميثاق حتَّى استنطقهم بالإقرار بالإيمان به والنصرة له"[1]

(إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّه وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ) [2]

الاستفهام للأمر والزَّجر والتَّحذير بعد التَّقرير بالانتهاء عن تعاطي الخمر ونحوها وذلك لما فيها من مفاسد دينية ودنيوية، و هذا التعبير" من أبلغ ما ينهي به، كأنه قيل: قد تلي عليكم ما فيهما (أي الخمر والميسر) من أنواع الصَّوارف والموانع فهل أنتم مع هذه الصَّوارف منتهون"[3]

ويقول الإمام أَبو حيَّان: "وقيل هو استفهام متضمن معني الأَمر أي فانتهوا ولذلك قال عمر انتهينا يارب "[4]

(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّه إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللَّه وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ) [5]

الاستفهام الثَّاني للأمر بعد التَّقرير للمشركين للمبايعة والدخول في الإسلام بعد

---

[1] البحر المحيط ،ج3 ، ص 513

[2] سورة المائدة الآية (91)

[3] الكُشَّاف ، ج1 ، ص 630

[4] البحر المحيط، ج4 ، ص15

[5] سورة هود الآيتان ، (13 ،14)

تشكيكهم في القرآن أنه قول بشر فتحداهم القرآن بأنْ يأتواْ بعشر سور مثلهُ بتأليفهم فعجزوا عن الآيتان بالمطلوب فأمروا بالاستسلام لله رب العالمين.

يقول الإمام أَبو حيَّان حاكياً عن مقاتل : "فهل انتم مسلمون" تحريضاً على تحصيل الإسلام لا انه يراد به الإخلاص ولما طولبوا بالمعارضة"[1] أي أن الخطاب هو خطاب للمشركين والمراد من الاستفهام الأَمر: أي اسلموا لا كما قال البعض أنه خطاب للمؤمنين ليزدادوا يقيناً وثبات قدم وان معني (فهل انتم مسلمون) :"فهل أنتم مخلصون"[2] (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ) [3]

الاستفهام للأمر والحث بعد التَّقرير بالشكر أي اشكروا اللَّه الذي هداكم الي كيفية الانتفاع بما أنعم به عليكم في الدُّنيا ومنها الدروع التي تحميكم من ضربات العدو في حروبكم.

يقول الإمام أَبوحيان: " (فهل انتم شاكرون) استفهام يتضمن الأَمر أي اشكروا اللَّه على ما أنعم به عليكم كقوله" (فهل انتم منتهون) أي انتهوا عما حرم اللَّه" [4] (قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ) [5]

الاستفهام للأمر والحث بعد التَّقرير بوحدانية اللَّه والاستسلام له باتباع الإسلام الذي هو خاتم الرسالات السماوية.

يقول الإمام أَبو حيَّان: "(فهل انتم مسلمون) استفهام يتضمن الأَمر بإخلاص التوحيد والانقياد إلي اللَّه تعالى "[6]

---

[1] الكُشَّاف،ج2 ، ص354.

[2] البحر المحيط ،ج3 ، ص 513.

[3] سورة الأنبياء الآية (80).

[4] البحر المحيط ،ج6 ، ص 332، وانظر: تفسير أبي السُعود ج6 ، ص80، روح المعاني، ج 17، ص 77.

[5] سورة الأنبياء الآية (108).

[6] البحر المحيط ،ج6 ، ص 332، وانظر: روح المعاني، ج 17، ص 106.

المطلب الثَّالث: الحث والتَّحضيض:

مما ورد به من أسلوب الاستفهام في آيات الأَحكام قوله تعالى :

(وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنيا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) [1]

الاستفهام للحث والتَّحضيض والتَّوبيخ بعد الإنكار على المشركين إنكارهم للبعث بعد الموت واغترارهم بالحياة الدُّنيا وتوبيخ لهم على عدم إعمال عقولهم وتعطيلها عن التَّفكُّر في المعاد وحث لهم لتحصيل ذلك.

ولم يصرح علماؤنا المفسِّرون الذين تعودنا الرجوع إلي أقوالهم عن المعني الأصلَّى لهذا الاستفهام، ولكن الإمام أَبو السُّعود فسره تفسيراً إنكارياً[2] ويقول الألوسي: "... و الاستفهام للتَّنبيه والحث على التأمل"[3]وقال صاحب (التَّحرير والتَّنوير):"و الاستفهام عن عدم عقلهم مستعمل في التَّوبيخ إنْ كان خطاباً للمشركين أو في التَّحذير إن كان خطاباً للمؤمنين".[4]

(أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّه أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) [5]

الاستفهام الأَوَّل للحث للتحضيض والعتاب بعد الإنكار على المؤمنين لتراخيهم عن قتال المشركين ثم حثهم وتحضيضهم على قتالهم.

يقول الإمام أَبو السُّعود:"(أَلا تقاتلون) الهمزة الداخلة على انتفاء مقاتلهم للإنكار والتَّوبيخ تدل على تحضيضهم على المقاتلة بطريق حملهم على الإقرار بانتفائها"[6] أي أن الاستفهام للإنكار على المؤمنين تراخيهم عن القتال في سبيل اللَّه وحثهم عليه

---

[1] سورة الانعام الآية (32).

[2] أنظر تفسير أبي السُّعود ، ج3 ، ص126 .

[3] روح المعاني ،ج7 ، ص 134.

[4] التَّحرير والتَّنوير ، ج7 ، ص 195.

[5] سورة التوبة، الآية (13).

[6] تفسير أبي السُّعود ، ج4 ، ص 48.

لإقرارهم بوجوبه بدأً، وليس لتقريرهم بوجوبه كما ذهب الإمامان الزَّمخشري وأَبو حيَّان[1] لان ذلك يقتضي أن المؤمنين انكروا وجوب قتال الكفار عليهم.

(أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ) [2]

الاستفهام الثَّاني للحث و الإلزام والتَّوبيخ بعد الإنكار على المشركين عدم إعمال فكرهم والتدبر في الآيات الكونية للتفريق بين الإله الحق والآلهة الباطلة, ثم توبيخهم وحثهم على تحصيل ذلك وإلزامهم بالنَّظر في هذه الآيات ليتذكروا لأنها ظاهرة يرونها أينما يمموا وجوههم.

يقول صاحب (التَّحرير والتَّنوير): "فالاستفهام في قوله (أَفلا تذكرون) مستعمل في الإنكار على انتفاء التَّذكر، وذلك يختلف باختلاف المخاطبين ، فهو انكار على المشركين عن التَّذكر في ذلك "[3]

(لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) [4]

الاستفهام للحث والتَّحضيض بعد الإنكار على الأمة المحمدية غفلتهم وعدم تذكر نعم اللَّه عليها ومن أعظمها القرآن الكريم الذي يرفع ذكر وشرف من عمل به في الدُّنيا والآخرة .

يقول الإمام أَبو السُّعود :"(أفلا تعقلون) إنكار توبيخي فيه بعث لهم على التَّدبر في أَمر الكتاب والتَّأمل فيما في تضاعيفه من فنون المواعظ والزَّواجر التي من جملتها القوارع السَّابقة واللاحقة"[5]

---

[1] أنظر الكُشَّاف، ج2 ، ص 233، البحر المحيط ، ج5، ص16.

[2] سورة النحل الآية (7).

[3] التَّحرير والتَّنوير ، ج13 ، ص 123.

[4] سورة الأنبياء الآية (10).

[5] تفسير أبي السُّعود ، ج6 ، ص 58.

(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) [1]

الاستفهام للحث بعد التَّقرير للمشركين بإسفارهم وسياحتهم في الأرض وما شاهدوه من آثار مصارع المجرمين في تلك الأسفار ولكنهم لم يعتبروا بهم كأن لم تكن لهم عقول ولا آذان ولا أبصار وحث لهم على تحصيل ذلك.

يقول الإمام أَبو السُّعود: "(أفلمْ يسيروا في الأرض) حث لهم أن يسافروا ليروا مصارع المُهلكين فيعتبروا، وهم وإن كانوا قد سافروا فيها ولكنهم حيث لم يسافروا للاعتبار جُعلوا غير مسافرين فحُثوا على ذلك"[2]

(فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّه مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ) [3]

الاستفهام للحث والتَّحضيض بعد الإنكار على الكفار من قوم هود – عليه السَّلام أو قوم صالح عليه السَّلام على خلاف بين المفسِّرين لأنه لم يصرح القرآن باسمهم – عدم عبادتهم لله وخشيته واتقاء عذابه وغضبه مع علمهم بأنه هو خالقهم.

يقول الإمام أَبو السُّعود في الآية المشابهة والسابقة لها في قصة قوم نوح:" و الهمزة لإنكار الواقع و استقباحه والفاء للعطف على مقدَّرٍ يقتضيهِ المقام أي أتعرفون ذلك أي مضمون قوله تعالى (مالكم من إله غيره)" أَفلا تتقون عذابه".[4]

---

[1] سورة الحج الآية (46).

[2] تفسير أبي السُّعود ، ج6 ، ص 11.

[3] سورة المؤمنون الآية (32).

[4] تفسير أبي السُّعود ، ج6 ، ص 130.

(وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) [1]

الاستفهام للحث والتَّحضيض بعد الإنكار على الذين لا يؤمنون باللَّه مع علمهم بأنه هو الذي يحي ويميت وبقدرته يتعاقب الليل والنَّهار وحث لهم على التَّفكُّر والتَّفكير للاهتداء والإيمان به.

يقول صاحب (التَّحرير والتَّنوير):"و لما كانت هذه الأدلة تفيد من نظر فيها علماً بأن الإله واحد وأن البعث واقع وكان المقصودون بالخطاب قد أشركوا به ولم يهتدوا بهذه الأدلة جعلوا بمنزلة غير العقلاء فانكر عليهم عدم العقل بالاستفهام الإنكاري"[2]

(قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) [3]

الاستفهام للحث والتَّحضيض بعد الإنكار على المشركين عدم تذكرهم مع علمهم بان اللَّه هو خالق ومالك الأرض .

يقول صاحب (التَّحرير والتَّنوير):"(أفلا تذكرون).... الاستفهام انكاري انكار لعدم تذكرهم بذلك، أي تفطن عقولهم لدلالة ذلك على انفراده تعالى بالالهية"[4]

ونحوه يقال في الآية التَّالية لها وهي قوله تعالى: (قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) [5]

---

[1] سورة المؤمنون الآية (80).

[2] التَّحرير والتَّنوير ، ج18 ، ص 106.

[3] سورة المؤمنون الآيتان (84 ، 85).

[4] التَّحرير والتَّنوير ، ج 18 ، ص 109.

[5] سورة المؤمنون الآيتان (86 ، 87).

(أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا)[1]

الاستفهام للحث والتوقيف بعد التَّقرير بالرؤية ولفت الأنظار إلي عظمة قدرة اللَّه في الكون كحركة الأفلاك وما ينشأ عن حركتها ودورانها من ظلال طبيعية يمدها اللَّه عند طلوع الشمس وعند زوالها عن كبد السَّماء ويقبضها قبضاً يسيراً عند توسط الشمس كبد السَّماء،[2] وحثٌ على التأمل والنَّظر ليرسخ بهذا التأمل إيمان قوي باللَّه في القلب.

يقول صاحب (التَّحرير والتَّنوير):"و الاستفهام تقريري فهو صالحٌ لطبقات السَّامعين من غافل يُسأل عن غفلته ليُقِرَّ بها تحريضا على النَّظر، ومن جاحدٍ يُنكَر عليه إهماله النَّظر، ومن موفق يُحثُّ على زيادة النَّظر"[3]

(أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّه وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّه غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [4]

الاستفهام للحث والتَّحضيض و التَّعجيب بعد الإنكار على النَّصاري وغيرهم في قولهم(إِنَّ اللَّه هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ). [5]

وتعجيب على إصرارهم وحث لهم إلي التَّوبة والاستغفار إلي اللَّه من هذه العقائد والأقاويل الباطلة.

يقول الإمام أَبو السُّعود: "وهمزة الاستفهام في قوله تعالى (أفلا يتوبون إلي اللَّه ويستغفرونه) لإنكار الواقع واستبعاده لا لإنكار الوقع وفيه تعجيب من إصرارهم"[6]

---

(1) سورة الفرقان الآية (45).

(2) أنظر : تفسير أبي السُعود ، ج6 ، ص 222.

(3) التَّحرير والتَّنوير، ج 19 ، ص 39.

(4) سورة المائدة الآية (74).

(5) سورة المائدة الآية (72).

(6) تفسير أبي السُعود ج3، ص 67.

(أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللَّـه هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّـه هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) [1]

الاستفهام للحث والترغيب بعد التَّقرير بقبول اللَّه توبة التائب مهما كثُرت معاصيه، وصدقة المتَصدق مهما قلت ثم الحث على التوبة النَّصوح والصَّدقة الخالصة لوجه اللَّه.

يقول الإمام أَبو السُّعود :".. هو تحقيق لما سبق من قبول توبتهم وتطهير الصدقة وتزكيتها لهم وتقرير لذلك وتوطين لقلوبهم ببيان أن المتولى لقبول توبتهم واخذ صدقاتهم هو اللَّه سبحانه .... فهو ترغيب لهم في التوبة والصدقة"[2]

(أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) [3]

الاستفهام للحث والإنكار والتَّوبيخ بعد التَّقرير لمشركي مكة بالرؤية ثم الإنكار عليهم عدم انتفاعهم بهذه الرؤية التي تقتضي الإيمان باللَّه وبما جاء به الرسول – صلَّى اللَّه عليه وسلَّم – ثم توبيخهم وحثهم على تحصيل خلاف ما أنكر عليهم ووبخوا به.

يقول الإمام أَبو السُّعود: "(اولم يروا...) الهمزة للإنكار التَّوبيخي، والواو للعطف على مقدَّرٍ يقتضيه المقام أي أَفعلوا ما فعلوا من الإعراض عن الآيات والتكذيب والاستهزاء بها ولم ينظروا (إلي الأرض) أي إلي عجائبها الزاجرة؟ " [4]

فهو جعل همزة الاستفهام هنا للإنكار، والإنكار فيها مسلط على المحذوف الذي قدره بقوله: (أَفعلوا ...)حملاً له على مذهب الإمام الزَّمخشري وتبعه في ذلك بعض

---

[1] سورة التوبة الآية (104).

[2] تفسير أبي السُّعود ج4 ، ص 100.

[3] سورة الشعراء الآية (7).

[4] تفسير أبي السُّعود ،ج 6 ، ص 234، ص 234 ، 235.

المفسِّرين. [1] إلا أن الذي أراه مناسباً لدلالة السِّياق والمقام أنَّ الاستفهام للتَّقرير بالرؤية إلي الأرض ثم الإنكار عليهم عدم انتفاعهم بهذه الرؤية للإيقان بقدرة اللَّه وبديع صنعه و الإيمان به رباً خالقاً مبدعاً.

(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاء إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ) [2]

الاستفهام للحث والتَّحضيض والامتنان بعد الإنكار عليهم عدم إبصارهم بأعينهم وتفكرهم بعقولهم في نعمة الماء الذي جعله اللَّه سبباً للحياة ليقودهم ذلك إلي الإيمان بأنَّه واحدٌ أحدٌ قادرٌ.

لم يصرح المفسِّرون عن المراد بالاستفهامين عدا صاحب (التَّحرير والتَّنوير)الذي جعل الأَوَّل للإنكار [3] والثَّاني للتقرير [4] والأصح هو عكس ما ذَكر.

(أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّه لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا) [5]

الاستفهام للحث والتَّحضيض والتَّعجيب والتَّوبيخ بعد الإنكار على المنافقين طعنهم في القرآن الكريم وعدم تدبرهم لمعانيه وتوافقه وتجاوبه ببعضه البعض فلو كان منزل من عند غير اللَّه أو كان من وضع البشر لكان متناقضاً مختلفاً متفاوتاً في نظمه وبلاغته ومعانيه .

يقول الإمام أَبو السُّعود :"(أفلا يتدبرون القرآن) إنكار واستقباح لعدم تدبرهم القرآن وإعراضهم عن التأمل فيما فيه من موجبات الإيمان"[6]

---

(1) أنظر: روح المعاني، ج 19، ص 61، التَّحرير والتَّوير ، ج19 ، ص 101.

(2) سورة السجدة الآية (27).

(3) انظر: تفسير التَّحرير والتَّوير ، ج7 ، ص 136.

(4) المصدر السابق، ج21 ، ص 241.

(5) سورة النساء الآية (82).

(6) تفسير أبي السُّعود ،ج 2 ، ص 207.

فاللَّه يحثهم لتحصيل خلاف ما أنكرعليهم ونحوه يقال في قوله تعالى (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) [1]

(وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّه وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) [2]

الاستفهام للحث والتَّحضيض والتَّوبيخ بعد الإنكار على المؤمنين تركهم التصدق و الإنفاق في سبيل اللَّه وحثهم عليه بإعلامهم أن اللَّه غني عن أموالهم وصدقاتهم فمن انفق فان اللَّه سيعطيه أجره على إنفاقه مضاعفاً في الجنة.

يقول الإمام الزَّمخشري عن الاستفهام: "يعني: وأي غرض لكم في ترك الإنفاق في سبيل اللَّه والجهاد مع رسوله واللَّه مهلككم فوارث أموالكم، وهو من أبلغ البعث على الإنفاق في سبيل اللَّه"[3]

(وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ) [4]

الاستفهام للحث والتَّحضيض بعد التَّقرير للأمة المحمَّدية بأن اللَّه سهل لهم الاتعاظ بالقرآن بأَن ضمنهُ بأنواع المواعظ والعبر، أو أن اللَّه سهل حفظه، فهل من متعظ أو طالب لحفظه ليعان عليه وفي ذلك حث إلي الإقبال إلي القرآن والإفادة من علومهِ .

يقول صاحب تفسير (التَّحرير والتَّنوير): ".. هو استفهام مستعمل في معني التَّحضيض على التذكر.. والتَّحضيض موجه إلي جميع من تبلغه هذه الآيات .

و من زائدة للدلالة على عموم الجنس في الإثبات على الأصح من القولين"[5]

---

(1) سورة محمد الآية (24).

(2) سورة الحديد الآية (10).

(3) الكُشَّاف ج4 ، ص 331.

(4) سورة القمر، الآيات ، 17، 22 ، 32 ، 40.

(5) لتَّحرير والتَّنوير، ج27 ، ص 186 187.

المطلب الرَّابع: العرض والتّرغيب

مما ورد به من أسلوب الاستفهام في آيات الأَحكام قوله تعالي .

(مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّـه قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّـه يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [1]

الاستفهام للتَّرغيب والتَّفخيم بعد التَّقرير بندره المستفهَم عنه وهو فاعل الإقراض في سبيل اللَّه وتفخيم لشأنه ليتسابق الذين يرجون ما عند اللَّه للفوز بذلك الفضل، وجاء الأسلوب بـ(من ذا الَّذي) بدلاً من (من يقرض) لما في الأَوَّل من إثارة وتهييج وزيادة التَّرغيب في الإِ نفاق والبذل في سبيل اللَّه .

يقول صاحب تفسير (التَّحرير والتَّنوير):"والاستفهام في قوله(من ذا الذي يقرض اللَّه) مستعملٌ في التَّحضيض والتهييج على الإنفاق بالخير كأن المستفهِم لا يدري من هو أَهل هذا الخير والجدير به"[2] وبين التَّحضيض والعَرض فرقٌ يسير.

(وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّه وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّه لَكُمْ وَاللَّه غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [3]

الاستفهام للعرض والتَّرغيب بعد التَّقرير بالرغبة في طلب المغفرة للذنوب وذلك بالتَّحلي بأسبابها بالمسارعة في أعمال الخير المقربة منها، كالعفو عن المسيء والإحسان إليه وبخاصة إن كان من ذوي القربي أو من ذوي الحاجات.

وقد نزلت هذه الآية في شأن أبي بكر الصِّديق – رضي اللَّه – عنه عندما اقسم إلا ينفق على مسطح بن أثاثه، وكانت بينهما قرابة لخوضه في ترويج حادثة الإفك،

---

[1] سورة البقرة الآية (245).

[2] التَّحرير والتَّنوير، ج2 ، ص 481.

[3] سورة النور الآية (22).

ولما نزلت الآية وقرأها النَّبي – صلَّى اللَّه عليه وسلَّم – على أبي بكر قال أَبوبكر: واللَّه إني لأحب أن يغفر لي .

فرجع إلي مسطح نفقته التي كان ينفق عليه، وقال واللَّه لا انزعها منه أبداً. [1]

يقول صاحب تفسير (التَّحرير والتَّنوير) :"والاستفهام في قوله (ألا تحبون) إنكاري مستعملٌ في التَّحضيض على السَّعي فيما به المغفرة"[2]. والأصح أنَّه تقريري.

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّه مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء) [3]

الاستفهام للتَّرغيب والتَّشويق والتَّعجيب بعد التَّقرير بهذا التَّمثيل الرَّائع للكلمة الطَّيبة وهي كلمة التَّوحيد إلي أَدني كلمةٍ فيها خير، بالشَّجرة الطَّيبة وهي النَّخلة ووجه الشَّبه بينهما هي الصفات المشتركة كالثبات وكثرة المنافع، ثم التَّعجيب من أمر هذه الكلمة وتشويق العباد إليها وترغيبهم

وقد تردد صاحب تفسير (التَّحرير والتَّنوير) في حمل الاستفهام على الإنكار أو التَّقرير بقوله: "والاستفهام في (ألم تر) انكاري نزل المخاطب منزلة من لم يعلم فأُنكر عليه عدم العلم، أو هو مستعملٌ في التَّعجيب من عدم العلم ... أو هو للتَّقرير".[4]

والاخير هو الأصح، وأما قوله أنَّه للإنكار فإنَّ المقام يأْباهُ.

(إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ) [5]

الاستفهام الأَوَّل للعرض والحث والتَّرغيب بعد التَّقرير الذي وجهه إلياس– عليه السَّلام – لقومه حاثاً ومرغباً لهم إلي تقوى اللَّه.

---

(1) أنظر : جامع البيان ،ج18 ، ص108.

(2) التَّحرير والتَّنوير ،ج18 ، ص 189.

(3) سورة إبراهيم الآية (24).

(4) التَّحرير والتَّنوير ،ج13 ، ص 223.

(5) سورة الصافات الآية (124 ، 125).

ولم يتعرض لهذا الاستفهام من المفسَّرين سوى صاحب(التَّحرير والتَّنوير) بقوله: "ألا" كلمتان" همزة الاستفهام للإنكار، ولا النَّافية ، إنكار لعدم تقواهم. [1]

والأَوَّلي حمله على التَّقرير إن كان استفهاماً لأن الهمزة دخلت على نفي كما ذَكر، فهي تنفي ذلك النَّفي فيصير اثباتاً ويكون المراد التَّقرير لا الإنكار، هذا إن كانت (ألا) كلمتين فان كانت كلمة واحدة فهي ليست استفهاماً وإنما هي (ألا) الَّتي للعرض.

[1] التَّحرير والتَّنوير ، ج 23 ، ص 166.

المطلب الخامس: النَّهي

مما ورد به من أسلوب الاستفهام في آيات الأَحكام قوله تعالى:

(وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا) [1]

الاستفهامان للنَّهي والتَّوبيخ بعد الإنكار كما يردف على الأَوَّل التَّوبيخ وعلى الثَّاني الاستبعاد.

فالاستفهامان لإنكار الظُّلم الواقع على النِّساء في بعض الحقوق الزَّوجية والنَّهي أن يرجع الزوج ويأخذ شيئاً من صداقٍ وغيره مما أعطاهُ الزَّوجة في ظل الحياة الزَّوجية عندما ينوي مفارقتها والاقتران بأُخرى، واستبعاد أن يقع وتوبيخ لمن يقع منه ذلك.

يقول الإمام أَبو السُّعود عن الأَوَّل "(أتأخذونَّهُ بهتانا وإثما مبيناً) استئناف مسوق لتقرير النَّهي و التنفير عن المنهي عنه والاستفهام للإنكار والتَّوبيخ أي أتأخذونه باهتين وآثمينٍ".[2]

ويقول الإمام أَبو حيَّان عن الثَّاني "وهذا استفهام إنكار ايضاً أُنكر أولاً الأخذ ونُبه على امتناع الاخذ بكونه بهتاناً وإثماً وأنكر ثانياً حالة الأخذ وأنها ليست مما يمكن أن يجامع حال الافضاء"[3]

وذلك لأن الصَّداق ملك للزَّوجة تستحقه كاملاً بدخول الزوج عليها دخولاً حقيقياً ولا يُسترد منها بعد ذلك لأي سبب كان.

---

[1] سورة النساء الآيتان (20 ،21).

[2] تفسير أبي السُّعود ، ج2 ، ص 159.

[3] التَّحرير والتَّنوير ، ج3، ص 207.

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللَّه قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاء اللَّه مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) [1]

الاستفهام للنَّهى والتَّقريع والتَّبكيت والتَّكذيب بعد الإنكار على بني اسرائيل قتلهم للأنبياء المبعوثين إليهم مع ادعائهم الإيمان برسالات هؤلاء الأنبياء !!.

والرسالات السَّماوية كلها تنهى عن قتل النَّفس التي حرَّم اللَّه فكيف وقد تجاوز جرمهم ذلك وتعدي لقتل أنبياء اللَّه وفي ذلك تقريع وتبكيت لهم وتكذيب لادعائهم الإيمان بالزَّبور والتَّوراة والانجيل وما لحق بها من كتب.

يقول الشيخ محمَّد رشيد[2](ت:1354هـ) " قل فلم تقتلون أنبياء اللَّه من قبل إن كنتم مؤمنين" بما انزل اليكم وليس فيه الأَمر بقتل الأنبياء بل فيه النَّهي الشَّديد عن قتل انفسكم" [3]

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّه وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) [4]

الاستفهامان للنَّهي والتَّوبيخ بعد الإنكار على اليهود والنَّصارى كفرهم برسالة النَّبي محمد – صلَّى اللَّه عليه وسلَّم – وهم يشهدون أن كتبهم السماوية بشَّرت بالنَّبي – صلَّى اللَّه عليه وسلَّم – وأخبرتهم عن أوصافه ولكنهم سعو إلي تلبيس الحق بالباطل وكتمانه احياناً إن لم يستطيعوا تلبيسه فنهوا ووبِّخُوا على ذلك.

يقول صاحب تفسير (التَّحرير والتَّنوير): "الاستفهام إنكاري ... وإعادة ندائهم بقوله (يا أَهل الكتاب) ثانية لقصد التَّوبيخ وتسجيل باطلهم عليهم"[5]

---

(1) سورة البقرة الآية (91).

(2) انظر ترجمتهُ: ص179 من هذا البحث.

(3) تفسير المنار، ج1 ، ص 383.

(4) سورة آل عمران الآيتان (70 ، 71).

(5) التَّحرير والتَّنوير ، ج3، ص 279.

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّه وَاللَّه شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّه مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاء وَمَا اللَّه بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) [1]

الاستفهامان للنهي والتَّوبيخ بعد الإنكار على اليهود والنَّصاري كفرهم بالإسلام وصد النَّاس عن الدخول فيه وهم يعلمون انه من عند اللَّه فنُهواْ عن ذلك ووُبِّخواْ عليه وقد تقدم نظيرهما في الآيتين السَّابقتين .

يقول صاحب تفسير(التَّحرير والتَّنوير): "أُمر الرسول – عليه الصَّلاة والسَّلام– بالصَّدع بالإنكار على أَهل الكتاب... وقوله: (قل يا أَهل الكتاب لم تصدون) توبيخ ثان وإنكار على مجادلتهم لإضلاهم المؤمنين بعد أن أنكر عليهم ضلالهم في نفوسهم"[2]

(إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا) [3]

الاستفهام للنهي والتَّوبيخ والتَّحقير بعد الإنكار فقد أنكر إبراهيم عليه السَّلام إصرار أبيه على الكفر وعبادته للأصنام بخطاب فيه ترقيق وتليين يُلمس فيه البر بالوالدين ولو كانا كافرين بقوله(يا أبت) و لم يقل (يا هذا) مثلاً، ونهاه عن عبادتها لأنها جماد لا يسمع ولا يبصر ولا تنفع نفسها فضلاً من أن تنفع غيرها، تحقيراً لشأنها.

لم يصرِّح المفسِّرون عن معني الاستفهام، وسرد الإمام الزَّمخشري فيه خُطبة طويلة منها قوله:" وذلك أن العبادة هي غاية التَّعظيم فلا تحق إلا لمن له غاية الأنعام وهو الخالق الرَّازق فإذا وُجهت إلي غيره – وتعالى علواً كبيراً أن تكون هذه الصِّفة لغيره– لم يكن إلا ظلماً وعتواً وغياَ"[4] وذكر صاحب تفسير (التَّحرير والتَّنوير) أنَّ

---

(1) سورة آل عمران الآيتان (98 ، 99).

(2) التَّحرير والتَّنوير ، ج4 ، ص 25.

(3) سورة مريم الآية (42).

(4) الكُشَّاف ، ج3 ، ص 18.

الاستفهام مستعمل في حقيقته. [1] وهو ليس كذلك لأنَّ إبراهيم عليه السَّلام لم يسال طالباً للجواب ولكنه أراد تحقير الأصنام ونهيه وتوبيخه على عبادته لها.

(أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّه أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) [2]

الاستفهام الثَّاني (أتخشونهم) للنَّهي والتَّوبيخ بعد الإنكار على جماعة المؤمنين تركهم الجهاد في سبيل اللَّه خوفاً من الاعداء لأَن المؤمن الحق لا يخشي إلا اللَّه تعالى لذلك نُهواْ عن خشيتهم بالاستفهام أتخشونهم: أي لا تخشوهم. [3]

يقول صاحب تفسير (المنار):" قيل إن هذا الاستفهام للإنكار والتَّوبيخ للمؤمنين وهذا لا يصح إلا اذا كان تعالى قد علم انهم يريدون الامتناع عن قتال المشركين خوفاً منهم على أنفسهم وهذا غير معقول.... وإنَّمَا هذا احتجاج آخر على جماعة المسلمين الذين لا يخلون من المنافقين ومرضي القلوب والسَّماعين لهم من المؤمنين"[4]

ومعني كلامه أن الإنكار والنَّهي والتَّوبيخ هو موجه إلي المؤمنين باعتبار من كان فيهم من المنافقين، ولا أري حرج من توجيهه إلي من تكاسل عن القتال من المؤمنين أنفسهم .

(وَقَالَ اللَّه لاَ تَتَّخِذُواْ إِلهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ وَلَهُ مَا فِي الْسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّه تَتَّقُونَ) [5]

الاستفهام للنَّهي والتَّوبيخ والتَّسفيه والحث بعد الإنكار على العباد اتقاء غير اللَّه وتوبيخهم على ذلك وحثهم على اتقائه وحده.

---

(1) التَّحرير والتَّوير ، ج16 ، ص 114.

(2) سورة التوبة الآية (13).

(3) انظر : البرهان في علوم القرآن ، ج2 ، ص 443.

(4) تفسير المنار، ج10 ، ص 194 ، 195.

(5) سورة النحل الآيتان (51 ،52).

يقول الإمام أَبو السُّعود:"(أفغير اللَّه تَتَّقونَ) الهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدَّرٍ ينسحب عليه السَّياق أي أُعقيب تقرر الشّؤون المذكورة من تخصيص جميع الموجودات للسجود به وكون ذلك كله له ونهيه عن اتخاذ الأنداد وكون الدين له واصباً...غير اللَّه الذي شأنه ما ذكر تتقون.." [1]

(يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) [2]

الاستفهام للنهي والتَّعجيب بعد الإنكار على الإنسان الكافر بنعم اللَّه والمنكر للبعث ونهيه عن ذلك والتَّعجيب عن حالة بخطاب رقيق ليرق قلبه فيزول عنه طغيان المكابرة والعناد ويخضع لربه وخالقه.

يقول الإمام الزَّمخشري[3]: "معناه أن حق الإنسان إلا يغتر بتكرم اللَّه عليه، حيث خلقه حيا لينفعه، بتفضله عليه بذلك حتَّى يطمع بعد ما مكنه وكلفه فعصي وكفر النِّعمة المتفضل بها أن يتفضل عليه بالثواب وطرح العقاب"[4]

ويقول صاحب تفسير (التَّحرير والتَّنوير):" والاستفهام مجاز في الإنكار والتَّعجيب من الإشراك باللَّه، أي لا موجب للشرك وإنكار البعث إلا أن يكون ذلك غروراً"[5]

---

[1] تفسير أبي السُّعود ، ج5 ، ص120.

[2] سورة الانفطار الآية (6).

[3] انظر ترجمته ص47 من هذا البحث.

[4] الكُشَّاف ، ج4 ، ص550.

[5] التَّحرير والتَّنوير ، ج30 ، ص 174.

المطلب السَّادس: التّهديد والوعيد

مما ورد به من أسلوب الاستفهام في آيات الأَحكام قوله تعالى:

(وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكُمُ النَّار وَعَدَهَا اللَّه الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) [1]

الاستفهام للتَّهديد والوعيد والتّحذير والتَّبكيت بعد التَّقرير للمشركين الذين عميت قلوبهم عن نور الإيمان وكرهت أسماعهم سماع القرآن، فإذا تلاه عليهم تالٍ هموا أن يسكتوه بكل وسائل التَّعذيب الممكنة لذلك توعدهم اللَّه وحذرهم وبكَّتهم بعذاب في نار جهنم اشد من تعذيبهم للدعاة إلي اللَّهِ .

يقول الإمام أَبو حيَّان[2]:"(قل أفأنبئكم بشر من ذلكم) وَعِيدٌ وَتَقْرِيعٌ وَالْإِشَارَةُ إِلَى غَيْظِهِمْ عَلَى التَّالِينَ وَسَطْوِهِمْ عَلَيْهِمْ".[3]

(أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى) [4]

الاستفهام للتَّهديد والوعيد والإلزام بعد التَّقرير لمشركي العرب بالنَّظر إلي مصارع الأمم قبلهم ممن كذبوا بالرسل وعتوا عن أمر ربهم فأَهلكهم اللَّه بذنوبهم وأصبحت ديارهم خراباً ليتّعظواْ بهم لأنّ في ذلك عظة وعبرة لأصحاب العقول السَّليمة وفيه إلزام لهم بهذا النَّظر وتهديد ووعيد أن يحل بهم ما حل بأولئك.

---

[1] سورة الحج الآية (72).

[2] انظر ترجمتهُ: ص25 من هذا البحث.

[3] البحر المحيط، ج6 ، ص 388.

[4] سورة طه الآية (128).

يقول صاحب (التَّفسير البلاغي للاستفهام) :" والذي لاح لنا بدلالةٍ المقام أن الهمزة مقدمة من تأخير، وهذا مذهب الجمهور، لأنَّ لها الصَّدارة وعلى هذا فإنَّ الاستفهام – هنا مراد منه التَّقرير لا الإنكار"[1] وذلك رد على من قال أنها للإنكار كالإمام أبي السُّعود[2]ومن تابعة بقوله: " والهمزة للإنكار التَّوبيخي والفاء للعطف على مقدَّرٍ يقتضيه المقام ...والمعني أَغفلوا فلم يفعل الهداية أو فلم يبيِّن لهم مآل أمرهم كثرة إهلاكنا للقرون الأَوَّلي"[3] وذلك حملاً للاستفهام على مذهب الزَّمخشري بأنَّ الهمزة داخلة على محذوف مقدَّرٍ، وهو أَغفلوا فلم...الخ، ولكن المقام لا يلزم ذلك، والإمام الزَّمخشري نفسه صاحب المذهب لم يطبقه في هذا الموضع.

ونحو ذلك يقال في قوله تعالى(أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ) [4]

(أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاء إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ) [5]

الاستفهام للتَّهديد والوعيد والامتنان بعد التَّقرير للكافرين بالبعث وباليوم الاخر بالنَّظر إلي السَّماء فوقهم وإلى الأرض من تحتهم لا للتفكر بهذا النَّظر ولكن ليعلموا أَنَّه لا منجي لهم ولا مهرب من عذاب اللَّه وانتقامه إن أَراده بهم بأنْ يخسف بهم الأرض أو يسقط عليهم قطعاً من السَّماء تهديداً لهم ثم امتن عليهم بأنَّه لم يعجِّل لهم العذاب عسى أنْ يتوبوا ويرجعوا إليه، حثاً وترغيباً لهم إلي الإنابة والتوبة قبل فوات الأوان .

---

[1] التفسير البلاغي للاستفهام ، ج2 ، ص 335.

[2] انظر ترجمتهُ: ص117 من هذا البحث.

[3] تفسير أبي السُّعود ، ج6 ، ص48 ، وانظر روح المعاني ج16 ، ص 279، و التَّحرير والتَّنوير ، ج16 ، ص334.

[4] سورة السجدة الآية (26).

[5] سورة سبأ الآية (9).

يقول الألوسي[1]: "(أفلم يروا..) قيل هو استئناف مسوق لتذكيرهم بما يعاينون مما يدل على كمال قدرته عزّ وجلّ وتنبيههم على ما يحتمل أن يقع من الأمور الهائلة في ذلك إزاحة لاستحالتهم الإحْياء حتَّى قالوا ما قالوا فيمن أخبرهم به وتهديداً على ما اجْتُرءوا عليه".[2]

(وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللَّه وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ) [3]

الاستفهام للتَّهديد والوعيد والتَّحقيق بعد التَّقرير للمكذبين الذين عرفوا الحقَّ فكذبوا به عن علم أو افتروا على اللَّه ما لم يقله كذباً منهم بتهديدهم أن النَّار ستكون مأواهم ومستقرهم يوم القيامة وأنَّ ذلك واقعٌ ومتحققٌ لا محالة.

يقول الإمام أَبو السُّعود: "أليس في جهنم مثوي" أي مقام (للمتكبرين) عن الإيمان والطاعة وهو تقرير لما قبله من رؤيتهم كذلك"[4] و نحوه يُقال في قوله تعالي (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّه وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ)ٍ.[5]

(قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (6)

الاستفهام للتَّهديد والوعيد والتَّوبيخ بعد الإنكار على المشركين الذين يدعون أن مع اللَّه آلهة اخرى ويصرفون لها العبادة مع وجود الدَّلائل الدَّالة على وحدانية اللَّه من

---

(1) انظر ترجمتهُ: ص117 من هذا البحث.

(2) روح المعاني ، ج22 ، ص 111.

(3) سورة الزمر الآية (60).

(4) تفسير أبي السُّعود ، ج7 ، ص 261.

(5) سورة الزمر الآية (32).

(6) سورة فصلت الآية (9).

حولهم وتهديد لهم عن التَّمادي في غيهم وضلالهم وشركهم باللَّه ربِّ العالمين وتوبيخهم عليه.

يقول صاحب تفسير (التَّحرير والتَّنوير): "وهمزة الاستفهام المفْتتح بها الكلام مستعملة في التَّوبيخ فقوله (أَئنكم لتكفرون) كقوله في سورة البقرة(كيف تكفرون باللَّه) [1] .. وتوكيد الخبر بـ(أنّ) ولام الابتداء بعد الاستفهام التَّوبيخي أو التَّعجيبي استعمال وارد كثيراً في الكلام الفصيح، ليكون الإنكار لأَمر محقَّق ... فالتَّوبيخ المفاد من الاستفهام مسلطٌ على تحقيق كفرهم باللَّه، ذلك من البلاغةِ بالمكانةِ العُليا"[2]

فهو يؤكد أنَّ كفرهم باللَّه الذي أُنكر عليهم وتهددوا ووبِّخو عليهِ هو المؤكَّد (بإنَّ) و (اللام) خلافاً لما ذهب إليهِ الإمام أَبو السُّعود من أنَّ الإنكار مسلطٌ على الكفر وحده دون التَّأكيد وتبعهُ الألوسي في ذلك.[3] والأوَّل على ما أرى هو الأوضح.

(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ) [4]

الاستفهام للتَّهديد والنَّفي بعد الإنكار على المفسدين في ظنهم مساواتهم بالصالحين يوم القيامة فان ذلك لا يكون لأنه يتناقض مع العدل الإلهي الذي يقتضي تفضيل المحسن على المسيء وتهديد لهم بالعذاب إن لم يبادروا بالأعمال الصَّالحة.

يقول الإمام الزَّمخشري(أم) منقطعة ومعني الهمزة فيها انكار الحسبان... والمعني إنكار أن يستوي المسيؤون والمحسنون محياً وان يستووا مماتاً، لافتراق أحوالهم.." [5]

---

[1] سورة البقرة الآية (28).

[2] التَّحرير والتَّنوير ، ج24 ، ص 241 ، 242.

[3] أنظر : تفسير أبي السُّعود ،ج8 ، ص 4 ، روح المعاني ج24 ، ص 99.

[4] سورة الجاثية الآية (21).

[5] الكُشَّاف ، ج4 ، ص 168 ، 169.

(ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنيا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ) [1]

الاستفهام للتَّهديد والتَّوبيخ بعد الإنكار على اليهود نقضهم للعهود والمواثيق التي أخذها اللَّه عليهم بالكف عن سفك دمائهم وإخراج بعضهم بعضاً من ديارهم فاقروا به ثم عادوا ونقضوه والتزموا بشيءٍ يسيرٍ يتمثَّل في مفاداة الأسرى فهددهم اللَّه عز وجل بعد ذلك بالخُسران في الدُّنيا والعذاب في الآخرة ووبَّخهم على نقضهم لعهده.

يقول الألوسي :"الاستفهام للتَّهديد والتَّوبيخ على التَّفريق بين أحكام اللَّه تعالى إذ العهد كان بثلاثةِ أشياء ترْك القتل، وترْك الإخراج، ومفاداة الأُسارى فقَتلوا وأَخرجوا على خلاف العهد وفدوا بمقتضاهُ".[2]

---

[1] سورة البقرة الآية (85).

[2] روح المعاني، ج1 ، ص 313.

المطلب السَّابع: الزَّجر

مما ورد به من أسلوب الاستفهام في آيا ت الأَحكام قوله تعالى:

(أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّه يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) [1]

الاستفهام للزَّجر والتَّوبيخ والتَّعريض بعد الإنكار على المنافقين من اليهود تلونهم في المواقف وكتمانهم دلائل نبوة النَّبي– صلَّى اللَّه عليه وسلَّم – وزجرهم عن النِّفاق وتوبيخهم عليه والتَّعريض بجهلهم وغباوتهم لأنَّهم يتسارُّون بذلك ولم يعلموا أن اللَّه يعلم السِّر و أَخفي .

يقول الفخر الرَّازي[2]: "(أولا يَعْلَمُون...) ففيه قولان ، الأَوَّل، وهو قول الأَكثرين أنّ اليهود كانوا يعرفون اللَّه ويعرفون أنَّه تعالى يعلم السِّر و العلانية فخوفهم اللَّه ، الثَّاني: أنَّهم ما علموا بذلك فرغَّبهم اللَّه بهذا ... و على القولين جميعاً فهذا الكلام زجر لهم عن النِّفاق وعن وصية بعضهم بعضاً بكتمان دلائل نبوة محمَّد (صلَّى اللَّه عليه وسلَّم) ".[3]

(أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّه حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) [4]

الاستفهام الأَوَّل للزَّجر والتَّوبيخ والتَّعجيب بعد الإنكار على اليهود محاولاتهم لتعطيل أحكام الشَّريعة في الرِّسالة الخاتمة واستبدال الأَحكام الرَّبانية بالقوانين الوضعية وزجرهم عن ذلك وتوبيخهم والتَّعجيب من حالهم لاستبدالهم الذي أدني بالذي هو خير، وذلك ديدنهم منذ عهد موسي (عليه السَّلام).

يقول الإمام أَبو السُّعود :"(أفحكم الجاهلية يبغون) إنكار وتعجيب من حالهم وتوبيخ لهم والفاء للعطف على مقدَّرٍ يقتضيهِ المقام أي أيتولون عن حكمك فيبغون حكم

---

[1] سورة البقرة الآية (77).

[2] انظر ترجمتهُ: ص130 من هذا البحث.

[3] التفسير الكبير، ج3 ، ص 126.

[4] سورة المائدة الآية (50).

الجاهلية".[1]

(وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ) [2]

الاستفهام للزَّجر والتَّحذير والتَّوبيخ والتَّفظيع بعد الإنكار من لوط عليه السَّلام على قومه ممارستهم لهذه الفاحشة الخسيسة وهي إتيان الذكور وزجرهم عنها لأنَّها لا تليق بالمجتمع البشري.

يقول الإمام أَبو السُّعود:"(أتأتون الفاحِشَةَ) بطريق الإنكار التَّوبيخي التَّقريعي أي أتفعلون تلك الفعلة المتناهية في القبح المتمادية في الشَّر والسُّوء .. و لقد أنكر اللَّه تعالى عليهم أولاً إتيان الفاحشة ثم وبَّخهم بأنَّهم أوَّل مَنْ عملها ... فقال: بياناً للعلَّة وإظهاراً للزَّجر ما سبقكم بها أَحد لغاية قبحها وسوء سبيلها فكيف تفعلونها"[3]

ونحو ذلك يقال في قوله تعالى على لسان لوط عليه السَّلام:(أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ)[4]

وقوله تعالي: (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) [5]

وقوله تعالى: (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ) [6]

وفي هذه الأخيرة أُضيفت جريمتان أخريتان إلي جريمة إتيان الذكور وهما: قطع الطَّريق للسَّلب والنَّهب(الحرابة)، والمجاهرة بجريمة إتيان الذُّكور بممارستها في أنديتهم

---

[1] تفسير أبي السُّعود ج3، ص 47.

[2] سورة الأعراف الآية (80).

[3] تفسير أبي السُّعود ج3، ص 244، 245.

[4] سورة الشعراء الآيتان (165 ،166).

[5] سورة النمل الآيتان (54، 55) .

[6] سورة العنكبوت الآيتان (28،29).

العامة بصورة جماعية.

(قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّه مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّه أَفَلَا تَعْقِلُونَ) [1]

الاستفهام الأَوَّل للزَّجر والتَّقريع والتَّوبيخ بعد الإنكار من إبراهيم – عليه السَّلام– على قومه عبادتهم للأصنام وهي جمادات لا تحس ولا تسمع ولا تبصر ولا تنطق ولا تتحرك ولا تقدم أو تؤخر ولكنهم عبدوها مع ذلك من دون تفكير يفضي بهم إلي التَّمييز بين المعبود الحق والباطل فزجرهم عن عبادتها ووبَّخهم على ذلك.

يقول الإمام أَبو حيَّان[2]:"ولما ظهرت الحجة عليهم أَخذ يقرِّعهم ويوبَّخهم بعبادة تماثيل ما لا تنفع ولا تضر ثم أبدي لهم التَّضجر منهم ومن معبوداتهم".[3]

(أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى) [4]

الاستفهام للزَّجر والتَّوبيخ بعد الإنكار على المشركين الذين جادلوا النَّبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم محاولين تكذيبهُ فيما قصَّه عليهم من المشاهد التي رآها في ليلة الإسراء والمعراج فزجرهم اللَّه عن ذلك ووبَّخهم عليه لأنَّهم لم يجربوا عليه كذباً حتَّى لقبوهُ قبل بعثتهِ بالصَّادق الأَمين.

يقول الإمام أَبو السُّعود:"(أفتُمارُونَهُ عَلَى مَا يَري) أي أتكذبونه فتجادلونه على ما يراه معاينة أو بعد ما ذكر من أحواله المنافية للمماراة تمارونه، من المراء وهو المُلاحاة والمجادلة".[5]

---

[1] سورة الأنبياء الآيتان (66، 67).

[2] انظر ترجمتهُ: ص 25 من هذا البحث.

[3] البحر المحيط ج6 ، ص 323.

[4] سورة النجم الآية (12).

[5] تفسير أبي السُّعود ج8 ، ص 156.

المطلب الثَّامن: التَّحذير و الإنذار

مما ورد به من أسلوب الاستفهام في آيات الأَحكام قوله تعالى :

(أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعفاء فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّه لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) [1]

الاستفهام للتَّحذير والتَّنبيه بعد الإنكار على الذين يركنون إلي الدُّنيا ويضيعون أعمارهم ركضاً خلف شهوات النّفوس دون التَّفكير في عواقب الأمور وأخذ الحيطة والحَذر.

يقول الإمام أَبو السُّعود[2]:"(أيود أحدكم) الوُد حُبُّ الشَّيء مع تمنيهِ ولذلك يستعمل استعمالها، والهمزة لإنكار الوقوع .. على أن مناط الإنكار ليس جميع ما تعلق به الود بل إنَّما هو إصابة الإعصار وما يتبعُها من الاحتراق".[3]

وقال صاحب (التَّحرير والتَّنوير) "و الاستفهام في قوله(أيود أحدكم)استفهام إنكار وتحذير".[4]

(الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعًا)[5]

الاستفهام للتّحذير والتّهكم والتَّوبيخ والتَّعجيب بعد الإنكار على المنافقين موالاتهم للكافرين على المؤمنين وتحذير للمؤمنين منهم و من الرُّكون إليهم والانخداع بأقوالهم التي ظاهرها نصحٌ وباطنها مَكرٌ وغدرٌ، وتوبيخ للمنافقين على أفعالهم وتعجيب من حالهم.

يقول الإمام أَبوحيان[6]: "في هذا الاستفهام تنبيه على أنهم لا عزة لهم فيكف

---

(1) سورة البقرة الآية (266).

(2) انظر ترجمتهُ: ص 117 من هذا البحث.

(3) تفسير أبي السُّعود ، ج1 ، ص 260.

(4) التَّحرير والتَّنوير ،ج3 ، 54.

(5) سورة النساء (139).

(6) انظر ترجمته:ص25 من هذا البحث.

تتبغي منهم".[1]

وقال الألوسي[2]:"(أَيبتغون) .. الاستفهام للإنكار والجملة معترضة مقررة لما قبلها وقيل: للتهكم ، وقيل: للتعجب"[3]

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا) [4]

الاستفهام للتحذير بعد إنكار إرادة اتخاذ المؤمنين للكافرين أولياء ضد بعضهم بعضاً.

يقول الإمام أَبو السُّعود:" نُهوا عن موالاة الكفرة صريحاً وإن كان في بيان حال المنافقين زجر عن ذلك مبالغة في الزَّجر والتَّحذير.. وتوجيه الإنكار إلي الإرادة دون متعلِّقها بأن يقال أتجعلون الخ... ، للمبالغة في إنكاره وتهويل أمره"[5]

(أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاء أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ) [6]

الاستفهام للتَّحذير والتَّعجيب بعد التَّقرير لجميع البشر وتحذيرهم من التَّمادي في الفساد في الأرض وعدم الاتعاظ بالأحداث الزاَّجرة وبما حل بالأُمم السَّابقة لهم وتعجيب من غفلتهم وعدم اعتبارهم.

يقول الإمام أَبو حيَّان: "والمعني أنكم مُذنبون لهم وقد علمتم ما حلَّ بهم أفما تحذرون أن يحلَّ بكم ما حلَّ بهم؟".[7]

---

(1) البحر المحيط، ج3 ، ص374.

(2) انظر ترجمتهُ: ص 117 من هذا البحث.

(3) روح المعاني، ج5، ص 172.

(4) سورة النساء الآية (144).

(5) تفسير أبي السُّعود ج2، ص246.

(6) سورة الأعراف الآية (100).

(7) البحر المحيط ج4 ، ص 350.

(كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ)[1]

الاستفهام للتَّحذير والتَّأكيد لمعاني الاستفهام قبله في قوله تعالى: (كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّه وَعِندَ رَسُولِهِ) [2] الذي هو للإنكار والاستبعاد والتَّعجيب وهنا تحذير للمؤمنين من إبرام معاهدات جديدة مع المشركين وتعداد للعلل المانعة لذلك.

يقول الإمام أَبو السُّعود: " وإنما أُعيد الاستنكار والاستبعاد تأكيداً لهما وتمهيداً لتعداد العلل الموجبة لهما لإخلالٍ تخلل ما في البَينِ من الارتباط والتَّقريب"[3]

وهي:

- عدم مراعاتهم لحقوق العهد.
- وان ما يظهرونه مداهنة لا مهادنة حين يظهرون الوفاء و المصافاة ويتعللون عند ظهور خلافه بالمعاذير الكاذبة .
- أنهم ليست لهم مروءة رادعة أو عقيدة وازعة تمنعهم عن العذر والخيانة. [4]

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ) [5]

الاستفهام للتَّحذير بعد التَّقرير للمغتاب حملاً له بالإقرار بعدم محبته ذلك أي أكل لحم أخيه ميتاً.

---

(1) سورة التوبة الآية (8).

(2) سورة التوبة الآية (7).

(3) تفسير أبي السُّعود ،ج4، ص 46.

(4) انظر: المصدر السابق ج4 ، ص46.

(5) سورة الحجرات الآية (12).

يقول الإمام الزَّمخشري[1](ت:538هـ) :"(أيُحِبُّ أحَدُكُم) تمثيل وتصوير لما يناله المغتابُ من عرض المغتابِ على أفظع وجهٍ وأفحشهُ ".

وفيه مبالغاتٌ شتَّى: "منها الاستفهام الَّذي معناه التَّقرير ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبَة ومنها اسناد الفعل إلي أحدكم والاشعار بان أحداً من الأحدين لا يُحبُّ ذلك. و منها أن لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان حتَّى جُعل الإنسان أخاً ومنها لم يُقتصر على أكل لحم الأخ حتَّى جُعل ميتاً".[2]

---

[1] انظر ترجمته: ص47 من هذا البحث.

[2] الكُشَّاف ،ج4 ، ص 244.

المطلب التَّاسع: التَّوبيخ

مما ورد به من أسلوب الاستفهام في آيات الأَحكام قوله تعالى:

(أَتَأْمُرُونَ النَّاس بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) [1]

الاستفهام الأَوَّل للتَّوبيخ والتَّعجيب بعد التَّقرير لبني إسرائيل وعامة النَّاس الذين يأمرون غيرهم بالبر وهم لا يأتمرون به، و تخالف أفعالهم أقوالهم فوبَّخهم اللَّه وعجَّب من حالهم.

يقول الإمام الزَّمخشري: "(أتأْمرون) الهمزة للتَّقرير مع التَّوبيخ والتَّعجيب من حالهم"[2]

وأشار الإمام أَبو السُّعود بعد موافقته أولاً للزَّمخشري إلي جواز أن يكون الاستفهام للإنكار ثم يردف اليه التَّوبيخ والتَّعجيب بقوله معلقاً على قول لابن جريج:

"ومدار الإنكار والتَّوبيخ الجملة المعطوفة، أي وتنسون أنفسكم دون ما عطفت هي عليه"[3]

و كلا الاعتبارين صحيحٌ بحسب وِجْهة نظر الدَّارس، فقد ينظرُ دارسٌ إلي جِهة أنَّ اللَّه تعالى يقرر بني إسرائيل بأمرهم لغيرهم بالبر، وهم لا يأتمرون به ثُمَّ وبَّخهم عليه وينظر آخر إلي أن اللَّه أنكر عليهم ذلك مباشرة دون حاجة إلي تقريرهم به ثم وبَّخهم عليه .

(أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ) [4]

الاستفهام للتَّوبيخ والتَّعجيب بعد الإنكار على بني اسرائيل وقائحهم وعنادهم وطغيانهم

---

[1] سورة البقرة الآية (44).

[2] الكُشَّاف ج1 ، ص 129.

[3] تفسير أبي السُّعود ،ج1 ، ص 97.

[4] سورة البقرة الآية (87).

الذي تعدي حتَّى وصل حد إلحاق الأذى الجسدي بالأنبياء والرُّسل: إما بقتلهم أو بحبسهم، لأنَّ الأنبياء يحولون بينهم وبين رغباتهم المحرَّمة.

يقول الإمام الزَّمخشري:"(أفكلما جاءكم رسول) منهم بالحق استكبرتم عن الإيمان به فوُسِّط بين الفاء، وما تعلقت به همزة التَّوبيخ والتَّعجيب من شأنهم"[1].

(أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ)[2]

الاستفهام للتَّوبيخ والتَّبكيت بعد الإنكار على بني اسرائيل خياناتهم ونقضهم للعهود وتكرار ذلك منهم حتَّى صار سجيةً لهم وتبيخهم وتبكيتهم على تاريخِهم الموسوم بالغدرِ والعارِ.

يقول الفخر الرَّازي[3]:" المقصود من هذا الاستفهام الإنكار وإعظام ما يقدمون عليه لأن مثل ذلك إذا قيل بهذا اللَّفظ كان أبلغ في التَّنكير والتَّبكيت"[4]

---

[1] الكُشَّاف ج1 ، ص 153.

[2] سورة البقرة الآية (100).

[3] انظر ترجمتهُ: ص130 من هذا البحث.

[4] التفسير الكبير ،ج3 ، ص 217.

(أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّـه يَبْغُونَ وَلَـهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) [1]

الاستفهام للتَّوبيخ والتَّحذير بعد الإنكار على الكفار في سعيهم للبحث عن معبودٍ غير اللَّه يعبدونهُ، أو عن دين يعبدون به اللَّه غير دين اللَّه الإسلام وهو خاتم الرِّسالات.

يقول الإمام الزَّمخشري: "دخلت همزة الإنكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعني: فأولئك هم الفاسقون فغير دين اللَّه يبغون تم توسطت الهمزة بينهما ويجوز أن يعطف على محذوف تقديره(أيتولون فغير دين اللَّه يبغون)" [2]

ويقول صاحب تفسير (التَّحرير والتَّنوير):" والاستفهام للتَّوبيخ والتَّحذير"[3] (وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُواْ بِاللَّه وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّه وَكَانَ اللَّه بِهِم عَلِيمًا). [4]

الاستفهام للتَّوبيخ والحث والتَّسهيل بعد الإنكار على المنافقين الذين يراءون النَّاس ويتظاهرون بالإنفاق وبعض الأعمال الصَّالحة ولكنهم في الواقع كفار لا يؤمنون باللَّه واليوم الآخر وبخلاء وإنما يتكلفون ذلك حفاظاً على مكانتهم فوبَّخهم القرآن وحثهم إلي فعل ما هو انفع وأسهل لهم وهو الإيمان باللَّه والإنفاق الخالص لوجهه ولو كان قليلاً.

يقول الإمام أَبو السُّعود: "وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنْفعة فيه، والاعتقاد في الشَّيءِ بخلاف ما هو عليه وتحريض على التَّفكُّر لطلب الجواب، لعله يؤدي بهم إلي العلمِ بما فيه من الفوائد".[5]

---

[1] سورة آل عمران الآية (83).

[2] الكُشَّاف ج1، ص 355.

[3] التَّحرير والتَّنوير ،ج3، ص300.

[4] سورة النساء الآية (39).

[5] تفسير أبي السُّعود ج2، ص 177.

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّه يُزَكِّي مَن يَشَاء وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً انظُرْ كَيفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّه الكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا) [1]

الاستفهام الأَوَّل للتَّوبيخ والتَّعجيب بعد التَّقرير بالرؤية للنَّبي – صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، ومن يصح خطابه به– إلى المتحدث عنهم وهم اليهود الذين يزكون أنفسهم بادعائهم أنهم أبناء اللَّه وأحباؤه وأن الجنَّة لن يدخلها أحد سواهم فوبَّخهم اللَّه وعجَّب من حالهم.

يقول الإمام أَبو حيَّان: "ولما خاطبهُ أولاً بقوله:(ألم تَرَ) أي ألا تعجب لهؤلاء الذين يزكون أنفسهم؟ خاطبهُ ثانياً بالنَّظر في كيفية افترائهم الكذب على اللَّه".[2]

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا) [3]

الاستفهام للتَّوبيخ والتَّعجيب بعد التَّقرير بالرؤية للمخاطب وهو النَّبي – صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، ومن يصح خطابه به – إلى المتحدَّث عنهم وهم المنافقون الذين لم يقبلوا بحكم اللَّه رسوله صلَّى اللَّه عليه وسلَّم في خصوماتهم و لجأوا إلي كهنة اليهود ليتحاكموا إليهم فوبَّخهم اللَّه وعجَّب من حالهم.

يقول الإمام أَبو السُّعود[4]:"(ألمْ تر..) تلوينٌ للخطاب وتوجيه له للرَّسول – صلَّى اللَّه عليه وسلَّم– تعجيباً له من حال الذين يخالفون ما مرَّ من الأَمر المحتوم ولا يطيعون اللَّه ولا رسوله، ووصفهم بادعاء الإيمان بالقرآن وبما أنزل من قبله اعني التَّوراة

---

[1] سورة النساء ، الآيتان (49 ،50).

[2] البحر المحيط، ج3 ، ص 270 ، 271.

[3] سورة النساء الآية (60).

[4] انظر ترجمتهُ: ص 117 من هذا البحث.

لتأكيد التَّعجيب وتشديد التَّوبيخ والاستفتاح بإظهار كمال المباينة بين دعواهم وبين ما صدر عنهم".[1]

(قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّه مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا وَاللَّه هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [2]

الاستفهامَ للتَّكيت والتَّعجيب بعد الإنكار على دعاة التَّثليث من النَّصارى في اعتقادهم أن اللَّه ثالث ثلاثة مع المسيح بن مريح عليه السَّلام والروح القدس فعبدوهم جميعاً فوبَّخهم اللَّه وبكَّتهم بان هذه المعبودات التي عبدوها من دون اللَّه لا يملكون لهم أي نفع يرجونهُ أو يدفعون عنهم ضُر يخشونهُ.

يقول الإمام أَبو السُّعود: (قل) أمر له عليه الصَّلاة والسَّلام بإلزامهم وتبكيتهم إثْر تعجيبه من أحوالهم... (أتعبدون) مؤكد للإنكار والتَّوبيخ ومقرر للإلزام والتَّبكيت"[3]

(وَإِذْ قَالَ إِبراهيم لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ)[4]

الاستفهام للتَّوبيخ والتَّسفيه والتَّحقير بعد الإنكار من إبراهيم – عليه السَّلام –على أبيه وقومه اتخاذهم الأصنام آلة يعبدونها من دون اللَّه موبخا لهم ومسفِّهاً لعقولهم ومستحقراً لمعبوداتهم.

يقول الإمام الزَّمخشري :"(آزر) وهو اسم صنم ومعناه: أتعبد آزراً على الإنكار"[5]هذا وقد احتمل أن يكون آزر اسمٌ لصنم بعد أن ذكر أولاً أنَّه اسمُ أبي إبراهيم عليه السَّلام.

---

[1] تفسير أبي السُّعود ج2، ص 194.

[2] سورة المائدة الآية (76)

[3] تفسير أبي السُّعود ج3، ص68

[4] سورة الأنعام الآية (74)

[5] الكُشَّاف ، ج2 ، ص 38

وقال صاحب تفسير (التَّحرير والتَّنوير): "والاستفهام في(أتخذ أصناماً آلهة) استفهام إنكار وتوبيخ"[1]

(قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّه الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنيا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) [2]

الاستفهام للتَّوبيخ والتَّهكم والنَّفي بعد الإنكار على المشركين الذين كانوا يحللون ويحرمون الأشياء وفقاً لأهوائهم فوبَّخهم اللَّه وتهكم منهم بان جعلهم بمنزلة أَهل علم يطلب منهم بيان ذلك ونفي بطريق الكتابة تحريم شيء مما حرموه.

يقول الإمام أَبو حيَّان[3]: "(قل من حرم زينة اللَّه) ما حسنته الشريعة وقررته مما يتجمل به من الثياب وغيرها وأضيفت إلي اللَّه لأنه هو الذي أباحها والطيبات هي المستلذات... ومعني الاستفهام إنكار تحريم هذه الأشياء وتوبيخ محرميها. [4]

(أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ)[5]

الاستفهام للتَّوبيخ بعد الإنكار على الخلق إشراكهم مع اللَّه عز وجل من لا يقدر على أن يخلق شيئا من الأشياء اصلاً فكيف يكون خالقاً لعابده، والخطاب لجميع البشر لا لآدم وحواء عليهما السَّلام لأنهما بريئان من الشِّرك. [6]

يقول الإمام أَبو السُّعود: "أيشركون استئناف مسوق لتوبيخ كافة المشركين واستقباح إشراكهم على الإطلاق وإبطاله بالكلية وبيان شأن ما أشركوه به سبحانه"[7]

---

[1] التَّحرير والتَّنوير، ج7 / ص 312

[2] سورة الأعراف الآية (32).

[3] انظر ترجمتهُ: ص 25من هذا البحث.

[4] البحر المحيط ج4، ص290، 291.

[5] سورة الأعراف الآية (191).

[6] انظر: روح المعاني ج9 ، ص143 ، والكُشَّاف، ج2، ص174، 175.

[7] تفسير أبي السُّعود، ج3، ص305.

(قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّه خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) [1]

الاستفهامات الأربع للتَّوبيخ بعد الإنكار على المشركين اتخاذهم أولياء من دون اللَّه لا يملكون لهم أي نفع يرجونه منهم أو يملكونه لأنفسهم، أو يدفعون عنهم ضرّاً يخشونه أو يدفعونه عن أنفسهم لأنهم خلقاً مثلهم.

يقول الإمام أَبو حيَّان: "واستفهم بقوله:(قل أفاتخذتم) على سبيل التَّوبيخ والإنكار أي بعد أن علمتم أنَّه تعالى هو رب السَّماوات والأرض تتَّخذون من دونه أولياء وتتركونهُ".[2]

(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) [3]

الاستفهام للتَّوبيخ والتَّعجيب بعد الإنكار على بني ادم اتخاذ ابليس وذريته أولياء لهم من دون اللَّه بطاعتهم له واتباعهم لوساوسه وخطواته وهم يعلمون بعصيانه لله عزَّ وجل وعدواتهُ لهم ولأبيهم آدم من قبل، فوبَّخهم اللَّه وعجَّب من حالهم.

يقول الإمام أَبو حيَّان: "و الهمزة في (أفتتَّخذونهُ) للتَّوبيخ والإنكار والتَّعجيب أي أبعد ما ظهر منه من الفسق والعصيان تتَّخذونه وذريته أولياء دوني مع ثبوت عدواته لكم؟".[4]

---

[1] سورة الرعد الآية ، 16.

[2] البحر المحيط، ج5 ، ص 379.

[3] سورة الكهف الآية (50).

[4] البحر المحيط ،ج6 ، ص 136.

(أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّه لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّه رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) [1]

الاستفهام للتَّوبيخ والتَّسفيه والتَّحقير بعد الإنكار على المشركين لاتخاذهم آلهة زعموا أنَّها قادرة على نشر الأموات من قبورهم أحياءً يوم البعث، فوبَّخهم اللَّه وسفَّه عقولهم واستحقر الهتهم بنعتها أنَّها من الأرض.

يقول الإمام الزَّمخشري: "هذه أم المنقطعة الكائنة بمعني بل والهمزة وقد أذنت بالإضراب عما قبلها والإنكار لما بعدها والمنكر هو اتخاذهم (آلهةٌ مِنَ الأرضِ هم يُنشِرون) الموتى ولعمري أن من أعظم المنكرات أنْ ينشر الموتى بعض الموات".[2]

وقال أَبو حيَّان:" عاد إلي ما كان عليه من توبيخ المشركين وذمهم وتسفيه أحلامهم"[3]

(وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ) [4]

الاستفهام للتَّوبيخ والتَّعجيب بعد الإنكار على اليهود والمشركين بعد تذكيرهم بالتوراة انه "ضياء وذكراً للمتقين "[5] فكيف ينكرونه وهو منزل من عند اللَّه مثل التوراة التي يؤمن بها اليهود.

يقول الإمام أَبوحيان: " (أفأنتُمْ له مُنكِرُون) استفهام إنكارٍ وتوبيخٍ ، وهو خطابٌ للمشركين والضمير في(لَهُ) عائد على (ذكرٌ) وهو القرآن وفيه تسلية للرَّسول (صلَّى اللَّه عليه وسلَّم)".[6]

---

[1] سورة الأنبياء الآية (21).

[2] الكُشَّاف ج3 ، ص 98.

[3] البحر المحيط ،ج6 ، ص304.

[4] سورة الأنبياء الآية (50).

[5] سورة الأنبياء الآية (48).

[6] البحر المحيط ،ج6 ، ص 317.

(أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ) [1]

الاستفهام للتَّوبيخ بعد الإنكار من هود عليه السَّلام على قومه انغماسهم في المتع والملذات الزائلة وانشغالهم بحضارتهم المادِّية عن تقوى اللَّه وطاعته حتَّى لكأنَّهم اعتقدوا أنَّهم مخلدون في الدُّنيا فوبَّخهم على غفلتهم.

يقول الإمام أَبو حيَّان: "وفي قوله: (أَتَبْنُونَ) إنكار للبناءِ على صورة العبث كما يفعل المترفون في الدُّنيا... وقال أَبو زيد معناه الاستفهام على سبيل التَّوبيخ والهُزْء بهم"[2] أي باعتقادهم أنَّهم خالدون في الدُّنيا.

(قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّه لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [3]

الاستفهام للتَّوبيخ و التَّعجب والتَّعجيب بعد الإنكار من صالح –عليه السَّلام– على قومه إصرارهم على الكفر باللَّه وايثارهم له على الإيمان وطاعة اللَّه فوبَّخهم وتعجَّب من حالهم.

يقول الألوسي: "و المراد من قوله: (لم تستعجِلون... الخ) لومهم على المسارعة إلي تكذيبهم إياهُ وكفرهم به"[4]

ويقول صاحب تفسير التَّحرير والتَّنوير "والاستفهام في قوله لم تستعجلون إنكار لأخذهم بجانب العذاب دون جانب الرَّحمة".[5]

---

[1] سورة الشعراء الآية (128).

[2] البحر المحيط ،ج7 ، ص 32.

[3] سورة النمل الآية (46).

[4] روح المعاني ،ج19 ، ص211.

[5] التَّحرير والتَّنوير ج 19، ص 279.

(إذ قال لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّه تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) [1]

الاستفهامان الأَوَّل والثَّاني للتَّوبيخ والتَّسفيه بعد الإنكار من إبراهيم – عليه السَّلام– على أبيه وقومه عبادتهم للأصنام موبِّخا لهم ومسفِّهاً لعقولهم.

و لم يتعرض لهذين الاستفهامين من المفسِّرين سوي صاحب (التَّحرير والتَّنوير) الذي قال: "(ماذا تعبون) استفهام إنكاري على أن تعبدوا ما يعبدونه ولذلك أتْبعهُ باستفهامٍ إنكاري آخر وهو (أئفكاً آلهةً دون اللَّه تُريدُون)" [2] مكتفياً بالإشارة إلي أنهما للإنكار.

أما الاستفهام الثَّالث (فما ظنكم بربِّ العَالمين) فهو للتَّوبيخ والتَّعجيب بعد التَّقرير فقد قررهم إبراهيم عليه السَّلام بقصور علمهم باللَّه وجهلهم به.

يقول الإمام أَبو حيَّان "(فما ظنُّكم بربِّ العَالمينَ) اسْتِفْهَامُ تَوْبِيخٍ وَتَحْذِيرٍ وَتَوَعُّدٍ، أَيْ: أَيُّ شَيْءٍ ظَنُّكُمْ بِمَنْ هُوَ يَسْتَحِقُّ لِأَنْ تَعْبُدُوهُ، إِذْ هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ حتَّى تَرَكْتُمْ عِبَادَتَهُ وَعَدَلْتُمْ بِهِ الْأَصْنَامَ؟ ".[3]

---

[1] سورة الصافات الآيات ، (85– 87).

[2] التَّحرير والتَّنوير ، ج23 ، ص 138.

[3] التَّحرير والتَّنوير ج 7، ص 365.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ) [1]

الاستفهام للتَّوبيخ والتَّحذير والعتاب بعد الإنكار على المؤمنين عدم إتْباعهم القولَ بالعملِ، وقيل أن المراد بالاستفهام هم المنافقون ونداؤهم بالإيمان تهكُّمٌ بهم وبإيمانهم. [2]

يقول الإمام أَبو حيَّان :"النداء بـ(يا أيُّها الذين آمنوا) إن كان للمؤمنين حقيقةً، فالاستفهام يراد به التَّلطف في العتْب، وان كان للمنافقين فالمعني (يا أيها الذين آمنوا) أي بألسنتهم والاستفهام يراد به الإنكار والتَّوبيخ و التَّهكُّم بهم في إسناد الإيمان إليهم".[3]

(مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) [4]

الاستفهام للتَّوبيخ والتَّقريع بعد الإنكار من نوح – عليه السَّلام – على قومه استخفافهم باللَّه وإعراضهم عن الخوف منه والرجاء فيه وتوبيخهم وتقريعهم بذلك.

يقول الإمام أَبو السُّعود: "(ما لكم لا ترجون للَّه وقاراً) إنكارٌ لأنْ يكون لهم سبب ما في عدم رجائهم للَّه تعالى وقاراً"[5]

ويقول صاحب تفسير (التَّحرير والتَّنوير): "بدَّل خطابه– أي نوح عليه السَّلام– مع قومه من طريق النُّصح والأَمر إلي طريقة التَّوبيخ بقوله: "مالكم لا ترجون للَّه وقاراً"[6]

---

[1] سورة الصف الآية (2).

[2] الكُشَّاف ،ج4 ، ص 376 ، 377.

[3] التَّحرير والتَّنوير ج8، ص 261.

[4] سورة نوح الآية (13).

[5] تفسير أبي السُّعود ج9 ، ص 38.

[6] التَّحرير والتَّنوير ج 29 ، ص199.

المطلب العاشر: التَّقريع

مما ورد به من أسلوب الاستفهام في آيات الأَحكام قوله تعالى:

(قَالَ أَغَيْرَ اللَّه أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) [1]

الاستفهام للتَّقريع والتَّعجب بعد الإنكار من موسى عليه السَّلام على قومهِ- بعد أن أنجاهم اللَّه من آل فرعون- طلبهم لموسي أن يجعل لهم آلهة مثل الآلهة التي أبصروا قوماً يعبدونها بأرض سَيناء.

يقول الفخر الرَّازي:" ما ذكره في هذه الآية من التَّعجب منهم على وجه يوجب الإنكار والتَّوبيخ فقال:(أغير اللَّه أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين)".[2]

(وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّه وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ) [3]

الاستفهام للتَّقريع بعد الإنكار على المنافقين استهزائهم بالقرآن وبالنَّبي – صلَّى اللَّه عليه وسلَّم – عند خروجهم معه في غزوة تبوك، يقولون: أنظروا إلي هذا الرَّجل يريد أن يفتتح حصون الشَّام وقصورها هيهات هيهات. فلما أطْلع اللَّه نبيهُ على ذلك وسألهم عنه اعتذروا له بأنَّهم كانوا في شيءٍ مما يخوض فيه الرَّكب لتقصير مسافة السَّفر، فقرَّعهم على إقدامهم بالاستهزاء على اللَّه أي الاستهزاء بأسمائهِ وصفاتهِ.

يقول الألوسي[4]: "والاستفهام للتَّوبيخ ، وأُوليَ المتعلِّق إيذاناً بأنَّ الاستهزاء واقعٌ لا محالة لكن الخطاب في المُستهزئ به"[5].

---

[1] سورة الأعراف الآية (140)

[2] التفسير الكبير، ج 13 ، ص 234

[3] سورة التوبة الآية (65)

[4] انظر ترجمتهُ: ص 117من هذا البحث.

[5] روح المعاني ،ج10، ص131

(قَالُواْ اتَّخَذَ اللَّه وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتقُولُونَ عَلَى اللَّه مَا لاَ تَعْلَمُونَ) [1]

الاستفهام للتَّقريع والتَّنبيه بعد الإنكار على اليهود والنَّصارى الذين نسبوا للَّه ولداً- تعالى عن ذلك علواً كبيراً- وهو عزير عند اليهود – وعيسى عليه السَّلام عند النَّصارى، فقرعهم اللَّه عليه ونبههم إلي أن أمور العقيدة لا تؤخذ إلا بالأدلة والبراهين القطعية.

يقول الإمام أَبو السُّعود: "والالتفات إلي الخطاب لمزيد المبالغة في الإلزام والإفحام وتأكيد ما في قوله(أتقُولون على اللَّه ما لا تعلمون) من التَّوبيخ والتَّقريع على جهلهم واختلافهم وفيه تنبيه على أن كل مقالة الدليل عليها فهي جهالة وان القصائد لا بد لها من برهان قطعي"[2]

(إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ) [3]

الاستفهام الثَّاني(أتدعون) للتَّقريع و الإنكار من اليأس عليه السَّلام على قومه عدم اتقائهم لعذاب اللَّه بفعل الأعمال التي تدفعه عنهم وفعلهم لنقيضها بعبادتهم للأصنام وترك عبادة اللَّه الذي خلقهم.

ولم يزد المفسِّرون في هذا الاستفهام أَكثر من قولهم انه للإنكار يقول الإمام أَبو السُّعود :"أتعبدون وتطلبون الخير منه (وتَذرون أحْسن الخالقين) أي وتتركون عبادته وقد أُشير إلي المقتضي للإنكار المَعنِي بالهمزة"[4]

---

[1] سورة يونس الآية (68)

[2] تفسير أبي السُّعود ج4، ص163

[3] سورة الصافات الآيتان (124 ،125)

[4] تفسير أبي السُّعود ج7، ص104

المطلب الحادي عشر: التَّبكيت

مما ورد به من أسلوب الاستفهام في آيات الأَحكام قوله تعالى:

(وَإِذْ قَالَ اللَّه يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّه قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ...) [1]

الاستفهام للتَّبكيت والتَّوبيخ والتَّقريع والإفحام والإلزام للنَّصارى بعد تقرير المخاطب وهو عيسي عليه السَّلام استنطاقاً له بما يعلم من ادعاء النَّصارى بذلك تبرئةً له وتكذيباً لهم.

يقول الألوسي: "والمراد يقول- أي اللَّه – له عليه الصَّلاة والسَّلام (أأنت قلت للنَّاس اتخذوني وأُمي إلهين من دون اللَّه) يوم القيامة توبيخاً للكفرة وتبكيتاً لهم بإقراره عليه الصَّلاة والسَّلام على رؤوس الإشهاد بالعبودية وأمرهم بعبادته عز وجل"[2]

(أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ) [3]

الاستفهام للتَّبكيت والتَّوبيخ والتَّحذير بعد التَّقرير لأَهل النَّار بعد دخولهم فيها وتبكيت لهم على تكذيبهم لآيات اللَّه وكتبه وعدم انتفاعهم بما تضمَّنهُ من مواعظٍ في الدُّنيا حتَّى وافاهم الموتُ وأُحضروا يوم القيامة فندموا حيث لا ينفع هناك النَّدم، وتحذيرٌ للمؤمنين من أن يكونوا ممن يقال لهم ذلك يوم القيامة.

يقول الإمام أَبو السُّعود: "أي يقال لهم تعنيفاً وتوبيخاً وتذكيراً لما به استحقوا ما ابتلوا به من العذاب ألم تكن آياتي تتلي عليكم في الدُّنيا (فكنتم بها تكذبون)" [4]

---

[1] سورة المائدة الآية (116)

[2] روح المعاني، ج7 ، ص 64

[3] سورة المؤمنون الآية ،105

[4] تفسير أبي السُّعود ج6 ، ص 151

(وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ) [1]

الاستفهام للتَّبكيت والتَّوبيخ والتَّقريع والإفحام بعد التَّقرير للمشركين يوم القيامة على رؤوس الإشهاد عن مكان الشركاء الذين اشركوهم مع اللَّه كناية إلي إنكار ونفي وجودهم وتوبيخهم وتقريعهم بذلك وإفحامهم بالإحاطة بهم من كل جهة إبطالاً لحُججهم وقطعاً لآمالهم.

يقول الإمام أَبو حيَّان : "فيقول أين شركائي"؟ أي على زعمكم، وهذا الاستفهام على جهة التَّوبيخ والتَّقريع"[2]

فهو أيضاً للتَّبكيت لان اللَّه تعالى يناديهم ويسألهم بذلك في يوم القيامة لا في الدُّنيا.

(وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَن بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلاَ يُنقِذُونِ) [3]

الاستفهام الثَّاني للتَّبكيت والتَّعريض والتَّوبيخ والتَّقريع والتَّحقير بعد الإنكار من الرجل المؤمن على المشركين من أصحاب القرية الذين كذبوا الرسل الثَّلاثة الذين أرسلهم اللَّه إليهم والتَّبكيت عليهم والتَّعريض بآلهتهم والتَّحقير من شأنها.

وقد اكتفي الإمام أَبو السُّعود بالإشارة إلي أن الاستفهام للإنكار والنَّفي بقوله: "أأتخذ من دونه آلهة" إنكار ونفي لاتخاذ الآلهة على الإطلاق"[4]

---

[1] سورة القصص الآية (62)

[2] البحر المحيط ج7 ، ص 128

[3] سورة يس الآيتان (22،23)

[4] تفسير أبي السُّعود ج7 ، ص164

المطلب الثَّاني عشر: التَّنديد

مما ورد به من أسلوب الاستفهام في آيات الأَحكام قوله تعالى:

(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّه شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّه الشَّاكِرِينَ). [1]

الاستفهام للتَّنديد والتَّحذير بعد الإنكار على بعض المؤمنين الذين فروا عن ميدان القتال في غزوة أحد بعد شيوع شائعة مقتل النَّبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم فلامَهمُ اللَّه عز وجل وندَّ بهم. والتَّنديد هو أَعنف في اللَّوم من العتاب وحذرهم وغيرهم أن يحدث منهم ما حدث مرة أخرى.

يقول الألوسي: "الهمزة للإنكار.. والغرض إنكار ارتدادهم عن الدِّين بخلُوِّهِ (صلَّى اللَّه عليه وسلَّم) .. وليس المراد ارتداداً حقيقة وإنَّما هو تغليظٌ عليهم فيما كان منهم من الفرار والإنكشاف عن رسول اللَّه- صلَّى اللَّه عليه وسلَّم- وإسلامهم إيَّاهُ للهلاك"[2]

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّه اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنيا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنيا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ) [3]

الاستفهام للتنديد والتَّوبيخ بعد الإنكار على المؤمنين قعودهم عن القتال في سبيل اللَّه إذا وجب والركون إلي الدُّنيا ومتاعها الزائل من غير عذر شرعي يبيح لهم القعود، والمقصود بذلك غزوة تبوك.

يقول صاحب تفسير (التَّحرير والتَّنوير): "هذا ابتداء خطاب للمؤمنين للتَّحريض على الجهاد في سبيل اللَّه بطريقة العتاب على التباطؤ بإجابة دعوة النَّفير إلي الجهاد. والمقصود بذلك غزوة تبوك"[4]

---

[1] سورة آل عمران الآية (144)

[2] روح المعاني ج4، ص73 ، 74

[3] سورة التوبة الآية (38)

[4] التَّحرير والتَّنوير، ج10،ص 195

المطلب الثَّالث عشر: العتاب

مما ورد من أسلوب الاستفهام في آيات الأَحكام قوله تعالى:

(وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّه عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ)[1]

الاستفهام للعتاب والنَّفي بعد الإنكار على المؤمنين لامتناعهم عن الأكل مما ذكر اسم اللَّه عليه بعد أن فصل لهم الحلال والحرام، وكان ذلك الامتناع عن الأكل مما هو حلال لهم تأثراً منهم ببعض الشبهات التي أثارها المشركون كقولهم:

لم نأكل ما قتلناه – أي ذبحناه – نحن، ولا نأكل ما قتله اللَّه– يعني الميتة فوقعت كراهية في نفوس بعض المؤمنين من الأكل مما ذبح مع ذكر اسم اللَّه عليه فعاتبهم اللَّه بهذه الآية ونفي أن يكون ذلك مما حرمه عليهم.

يقول الإمام أَبو حيَّان: "هو استفهام يتضمَّن الإنكار على من امتنع من ذلك أي لا شيء يمنع ذلك وقد فُصِّل لكم في هذه السورة". [2] ونُقل عن أبي البقاء[3] قوله: " (ما) في موضع نصب على الاستثناء من الجنس من طريق المعني كأنه وبَّخهم بترك الأكل مما سمى عليه وذلك يتضمن إباحة الأكل مطلقاً"[4]

---

[1] سورة الأنعام الآية (119)

[2] البحر المحيط،ج4 ، ص 211

[3] هو عبد اللَّه بن الحسين بن عبد اللَّه العكبري البغدادي أَبو البقاء النحوي العزيز محب الدين عالم بالأدب واللغة والنحو والفرائض والحساب، تفقه على مذهب الإمام احمد بن حنبل مولده ببغداد سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة وتوفي بها سنة ستة عشر وستمائة من الهجرة وأَصله من عكبرا. من تصانيفه: (اللباب في علل النحو)، و(شرح اللمع لابن جني) و(التبيان في إعراب القرآن). أنظر ترجمتهُ: الإعلام للزركلي، ج4، ص80

[4] التَّحرير والتَّنوير، ج10،ص 211

(عَفَا اللَّه عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ) [1]

الاستفهام للعتاب على النَّبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم في أذنه للمنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ومنع الإمام الرَّازي أن يكون المراد من الاستفهام هو الإنكار عليه – صلَّى اللَّه عليه وسلَّم– مراعاة لمكانته بقوله" لا يجوز أن يقال المراد بقوله لم أذنت لهم الإنكار لانا نقول: إما أن يكون صدر عن الرسول صلَّى اللَّه عليه وسلَّم ذنب في هذه الواقعة أو لم يصدر عنه ذنب، فإن قلنا: إنَّه صدر عنه ذنب امتنع على هذا التَّقدير أن يكون قوله: لم أذنت لهم إنكار عليه، وإن قلنا: إنه كان قد صدر عنه ذنب فقوله:" عفا اللَّه عنك يدل على حصول العفو عنه، وبعد حصول العفو عنه يستحيل أن يتوجه الإنكار عليه"[2]

ويقول الألوسي: "وهذا عتابٌ لطيفٌ من اللَّطيف الخبير سبحانهُ لحبيبهِ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم على ترْك الأوْلى وهو التَّوقف عن الإذن إلي انجلاء الأَمر وانكشاف الحال المشار إليه بقوله سبحانه(حتَّى يتبين لك الذين صدقوا...)" [3]

هذا و لم يتأدَّب الإمام الزَّمخشري بأدبِ اللَّه في هذه الآية بقوله: "معناهُ أخطأت وبئس ما فعلت"[4]

(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّه وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ) [5]

---

[1] سورة التوبة الآية (43)

[2] التفسير الكبير، ج16، ص76

[3] روح المعاني ج10 ، ص 107

[4] الكُشَّاف ج2 ، ص254

[5] سورة الحديد الآية (16)

الاستفهام للعتاب والاستبطاء والحث بعد التَّقرير للمؤمنين ومعاتبتهم على الفتور عن بعض ما كانوا عليه من نشاطٍ في ذكر اللَّه وتلاوة كتابه، فإنَّه من يغفل عن ذكر ربه قسا قلبه وليس وراء قَسوة القلوب إلا الفسوق والخروج.

وفيه استبطاءٌ للاستجابة الكاملة من تلك القلوب وحثٌّ وترغيبٌ في ذكر اللَّه للمؤمنين والعمل بكتابه وعدم مشابهة أَهل الكِتاب الذين قطعوا الصِّلة الحقيقة بينهم وبين هدي اللَّه تعالي:

(الم يأن للذين آمنوا) أي يقرب ويحين، وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا اللَّه بهذه الآية إلا أربع سنين. [1] قال الخليل. العتاب مخاطبة الإدلال ومذاكرة المُوجَدَةِ تقول: عاتبتهُ معاتبةً".[2]

(أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّه عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّه وَرَسُولَهُ وَاللَّه خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [3]

الاستفهام للعتاب بعد التَّقرير للمؤمنين بالإشفاق الذي يعتريهم من أمرهم بتقديم صدقة كلما أَراد احد منهم أن يستفتي النَّبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم في أمر ما تخفيفاً عليه من كثرة اسئلتهم ومعاتبة للمؤمنين على شعورهم بالشفقة والمشقة من هذا الحكم فتجاوزه عنهم.

يقول صاحب تفسير (التَّحرير والتَّنوير):

"والاستفهام مستعمل في اللَّوم على تجهم تلك الصَّدقة مع ما فيها من فوائد لنفع الفقراء ثم تجاوز اللَّه عنهم رحمة بهم بقوله تعالى: (فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّه عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) وقد علم من الاستفهام التَّوبيخي أي بعضاً لم يفعل ذلك".[4]

---

[1] راجع ص66 من هذا البحث.

[2] تفسير القرطبي ، ج17، ص224 ، 225.

[3] سورة المجادلة الآية (17).

[4] التَّحرير والتَّنوير،ج28 ، ص 46 ،47.

(يَأَيُّهَا النَّبي لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّه لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّه غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[1]

الاستفهام للعتاب والنَّفي، وتأدباً مع النَّبي (صلَّى اللَّه عليه وسلَّم) أُمسك عن القول أَنَّه للإنكار عليه واكتفي بأنَّه لمعاتبته صلَّى اللَّه عليه وسلَّم لتحريمِهِ على نفسهِ شُرب العسلَ، أو تحريمه ماريا القبطية أُم ولده إبراهيم .

يقول الإمام الفجر الرَّازي: "قال مسروق: حرَّم النَّبي(صلَّى اللَّه عليه وسلَّم) أُم ولده وحلف أن لا يقربها فانزل اللَّه هذه الآية... وقال الشَّعبْي : كان مع الحرام يمين فعُوتب في الحرام وإنَّما يُكِّفر اليمين"[2]

---

[1] سورة التحريم الآية (1).

[2] التفسير الكبير، ج30، ص41 ،42.

المطلب الرَّابع عشر: الإلزام

مما ورد به من أسلوب الاستفهام في آيات الأَحكام قوله تعالى:

(أَوَ لَمْ يَرَوْاْ إِلَى مَا خَلَقَ اللَّه مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلاَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِلّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ) [1]

الاستفهام للإلزام والتَّوبيخ بعد التَّقرير للعباد بالرؤية الي مخلوقات اللَّه التي لا تحصي مما يدل على قدرته وعظمته والزامهم بهذه الرؤية لانهم لا يستطيعون صرف أنظارهم عن مخلوقاته الموجودة في كل مكان، وتوبيخهم لعدم تأملهم في تلك المخلوقات التي تدل على أن اللَّه واحد قادر.

يقول الإمام أَبو حيَّان :"و الرؤية هنا رؤية القلب التي يقع بها الاعتبار، ولكنها بواسطة العين قيل: والاستفهام هنا معناه التَّوبيخ قيل ويجوز أن يكون معناه التعجب"[2]

(وَاللَّه فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاء أَفَبِنِعْمَةِ اللَّه يَجْحَدُونَ) [3]

الاستفهام للإلزام والتَّوبيخ بعد الإنكار على المشركين إشراكهم للأصنام مع اللَّه في مكة ولا يرضون لأنفسهم أن يشركوا معهم عبيدهم وإماءهم في أموالهم وذلك لإلزامهم بأمرين هما:

إلزامهم بالتسليم ببطلان عقيدة الشرك من مقتضي أعرافهم الاجتماعية التي تأبي مساواة العبد بالسيد فكيف تشرك أصنام مصنوعة مع اللَّه في الإلوهية.

وإلزامهم بأنهم رغم تفاوتهم في الرزق فلن يستطيع احد منهم أن ينكر نعمة اللَّه عليه.

يقول الإمام الفخر الرَّازي:".. المراد من قوله أفبنعمته اللَّه يجحدون، الإنكار على المشركين الذين أورد اللَّه تعالى هذه الحُجة عليهم". [4]

---

[1] سورة النحل الآية (48).

[2] البحر المحيط ج5، ص 496.

[3] سورة النحل الآية (71).

[4] التفسير الكبير، ج20، ص82.

(أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّه السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاس بِلِقَاء رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ) [1]

الاستفهام للإلزام والإنكار بعد التَّقرير للمنكرين للبعث والغافلين عن الآخرة بهذه الرؤية تم الإنكار عليهم عدم عملهم بمقتضاها وإلزامهم بالتَّفكُّر في خلق أنفسهم وأَنَّ اللَّه الذي خلقهم من عدمٍ قادر على بعثهم وإعادتهم أحياءً بعد موتهم وقد قُدِّمت هنا دلائل الأنفس على دلائل الآفاق لإلزامه بذلك النَّظر اذ لا ذهول للإنسان عن دلائلها.

يقول الفخر الرَّازي "بين أن الغفلة وعدم العلم منهم بتقدير اللَّه والا فأسباب التذكر حاصلة وهو أن أنفسهم لو تفكروا فيها لعلموا وحدانية اللَّه وصدقوا بالحشر"[2]

(أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) [3]

الاستفهام الأَوَّل للإلزام والتَّوبيخ بعد التَّقرير لمنكري البعث بمبدأ خلق الإنسان خلقه اللَّه من نطفة أوجده من العدم ثم اتخاذ هذا التَّقرير حجة لإلزامه بالإيمان بالبعث لأنَّه لو كان البعث شاقاً ومستبعداً على اللَّه لكان خلق الإنسان اول مرة اشد مشقة عليه ويكفي لأبطال ذلك نظر هذا المنكر الي نفسه التي هي من خلق اللَّه .

يقول الإمام الزَّمخشري :"قبَّح اللَّه عز وجل إنكارهم للبعث تقبيحاً لا تري أعجب منه وأبلغ وأدلّ على تمادي كفر الإنسان وإفراطه في جحوده النِّعم، وعقوق الأيادي وتوغله في الخسةِ وتغلغهُ في القِحَة[4]، حيث قرَّره بأَنَّ عُنصره الذي خلقهُ منه هو أَخسَّ شيءٍ وأمهنه وهو النُّطفة الخارجة من الإحليل الذي هو قناة النَّجاسة."[5]

---

[1] سورة الروم الآية (8).

[2] التفسير الكبير،ج25 ، ص 99.

[3] سورة يس الآية (77، 98).

[4] القِحَة من الوقاحة وهي قلة الحياءِ.

[5] الكُشَّاف، ج3، ص 597.

المطلب الخامس عشر: الإفحام

مما ورد به من أسلوب الاستفهام في آيات الأَحكام قوله تعالي:

(حتَّى إِذَا جَاؤُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) [1]

الاستفهام الثَّاني للإفحام والتَّوبيخ والتَّبكيت بعد التَّقرير للمكذبين بالرسالات السَّماوية بتكذيبهم بهذه الرِّسالات وافحامهم بتطويقهم بالحجة من كل جهة، أَنهم ماذا كانوا يعملون بها إن لم يكونوا مكذبين بها؟ وتوبيخهم وتبكيتهم عليه حيث لا عودة لهم إلي الدُّنيا لتدراك ما فاتهم. يقول الإمام الزَّمخشري: "أَمَّا ذا كنتم تعملون بها للتَّبكيت لا غير. وذلك أنَّهم لم يعملوا إلا التَّكذيب فلا يقدرون أن يكذبوا ويقولوا قد صدَّقنا بها وليس إلا التَّصديق بها أو التَّكذيب"[2] أي لا وِجهة لهم ثالثة يتَّجهون إِليها.

وقوله تعالى: (فأَيْنَ تَذْهَبُونَ).[3] الاستفهام للإفحام والتَّنبيه بعد التَّقرير للكفار بالنَّظر إلي عاقبة مسلكهم ونهاية رحلتهم باختيار أحد الطريقين، إما طريق الجنَّة بالإيمان باللَّه ورسوله وكتابه ، وإما طريق النَّار بالكفر والتكذيب بما ذُكر وافحامهم بألا طريق ولا مأوي ثالث لهم غير المذكورَين و تنبيهم على ضلال طريقهم الذي سلكوه.

يقول صاحب تفسير (التَّحرير والتَّنوير): "(أين) اسم استفهام عن المكان وهو استفهام انكاري عن مكان ذهابهم أي طريق ضلالهم تمثيل لحالهم في سلوك طرق الباطل بحال من ضل الطَّريق الجادة فيسأله السائل منكراً عليه سلوكه ويجوز أن يكون الاستفهام مستعملاً في التَّعجيز عن طلب طريق يسلكونه إلي مقصدهم من الطَّعن في القرآن والمعني: أَنَّه قد سُدَّتْ عليكم طرق بهتانكم اذ اتَّضح بالحجة الدَّامغة بطلان ادعائكم أنَّ القرآن الكريم كلام مجنون أو كلام كاهن، فماذا تدعون بعد ذلك".[4]

---

[1] سورة النمل الآية 84.

[2] الكُشَّاف ،ج3 ، ص 354.

[3] سورة التكوير الآية 26.

[4] التَّحرير والتَّنوير، ج30 ، ص 164 ،165.

المطلب السَّادس عشر: التَّرهيب

مما ورد به أسلوب الاستفهام في آيات الأَحكام قوله تعالى:

(أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) [1]

الاستفهام للتَّرهيب بعد الإنكار على منكري البعث ظنهم أن اللَّه خلقهم عبثاً لا لحكمة اقتضت ذلك وانهم لا يبعثون بعد موتهم مرة اخرى وترهيبهم بأنهم سيبعثون ويحشرون إلي دار الجزاء حيث يثاب المحسن ويعاقب المُسيء.

يقول الإمام الزَّمخشري: (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً) أي ما خلقناكم للعبث، ولم يدعنا إلي خلقكم إلا حكمة اقتضت ذلك وهي أن نتعبدكم و نكلفكم بالمشاق من الطَّاعات وترك المعاصي ثم نرجعكم من دار التَّكليف إلي دار الجزاء فنثيب المحسن و نعاقب المسيء".[2]

(فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا) [3]

الاستفهام للتَّرهيب بعد الإنكار على المشركين الكفر باللَّه وترك الإيمان والعمل الصَّالح في الدُّنيا و ترهيبهم وتخويفهم بأهوال الأُخرى التي تشيب منها نواصي الأطفال.

يقول صاحب تفسير(التَّحرير والتَّنوير):"و قد انتقل بهم من التَّهديد بالأخذ في الدُّنيا المستفاد من تمثيل حالهم بحال فرعون مع موسي عليه السَّلام إلي الوعيد بعقاب أَشدّ وهو عذاب يوم القيامة وقد نشأ هذا الاستفهام عن اعتبارهم أَهل اتعاظ وخوف من الوعيد بما حل بأمثالهم مما شأنه أن يثير فيهم تفكيراً من النَّجاة من الوقوع فيما هددوا به"[4]

---

[1] سورة المؤمنون الآية (115).

[2] الكُشَّاف ج3 ، ص 188.

[3] سورة المزمل الآية (17).

[4] التَّحرير والتَّنوير، ج29 ، ص274.

المطلب السَّابع عشر: التَّهويل

مما ورد به من أسلوب الاستفهام في آيات الأَحكام قوله تعالى :

(فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ)[1]

الاستفهام للتَّهويل والتَّعجيب والتَّفظيع بعد التَّقرير عن حال اليهود والنَّصارى يوم القيامة وتهويل لما اعد لهم من عذاب بسبب جحودهم للقرآن ونفورهم عنه على رغم ما عندهم من بينات في كتبهم على صدقهِ.

يقول الإمام الزَّمخشري (فكيف اذا جمعناهم) فكيف يصنعون؟ فكيف تكون حالهم؟ وهو استعظام لما أعد لهم وتهويل له"[2]

ويقول صاحب تفسير (التَّحرير والتَّنوير) "والاستفهام هنا مستعمل في التَّعجيب والتَّفظيع مجازاً"[3]

(فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيدًا يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّه حَدِيثًا) [4]

الاستفهام للتَّهويل والتَّفظيع والتَّعجيب بعد التَّقرير عن حال العصاة ومصيرهم يوم القيامة وتهويل وتفظيع ما ينتظرهم من عذاب وتعجيب من حالهم.

يقول صاحب تفسير (التَّحرير والتَّنوير) :والحالة التي دلَّ عليها الاستفهام المستعمل في التَّعجيب تؤذن بحالة مهولة للمشركين وتنادي على حيرتهم ومحاولتهم التّملُّص من العقاب بسلوك طريق الإنكار أن يكونوا انذروا مما دل عليه مجيء شهيد عليهم".[5]

---

[1] سورة آل عمران الآية (25).

[2] الكُشَّاف ج1 ، ص 326.

[3] التَّحرير والتَّنوير، ج3 ، ص211.

[4] سورة النساء الآية (41)

[5] التَّحرير والتَّنوير، ج5 ،ص27.

(فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ) [1]

الاستفهام للتَّهويل والتَّفظيع والتَّعجيب بعد التَّقرير عن حال المنافقين عند سكرات الموت وتهويل لآلامهم التي لا تطاق.

يقول صاحب تفسير (التَّحرير والتَّنوير):

".. التفريع لبيان ما سيلحقهم من العذاب عند الموت وهو استهلال لما يتواصل من عذابهم عن مبدأ الموت إلي استقرارهم في العذاب الخالد... ولما جعل هذا العذاب محققاً وقوعه رتب عليه الاستفهام عن حالهم استفهاماً مستعملاً في معني تعجيب المخاطب من حالهم عند الوفاة، و هذا التَّعجيب مؤذن بأَنَّها حالة فظيعة غير معتادة اذ لا يتعجب إلا من أمرٍ غير معهود والسَّياق يدل على الفظاعة".[2]

---

[1] سورة محمد الآية (27).

[2] التَّحرير والتَّنوير، ج 26 ، ص 118.

المطلب الثَّامن عشر: التَّنبيه

مما ورد به من أسلوب الاستفهام في آيات الأَحكام قوله تعالي :

(فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّه أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ اللَّه وَمَن يُضْلِلِ اللَّه فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً) [1]

الاستفهام للتَّنبيه والتَّعجيب بعد الإنكار على المؤمنين انقسامهم في شأن المنافقين فريقين: فريق يثق فيهم و فريق لا يأمنهم، وذلك بعد ما كشفه اللَّه لهم من خباياهم أي المنافقين وكفرهم باللَّه ورسوله وتنبيه المؤمنين عن الخطأ الذي وقعوا فيه.

ويقول الإمام أَبو حيَّان:" أنكر اللَّه تعالى عليهم اختلافهم في هؤلاء المنافقين في حال أن اللَّه تعالى قد ردهم في الكفر ومن يرده اللَّه إلي الكفر لا يختلف في كفره"[2]

(وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى) [3]

الاستفهام للتَّنبيه والإفهام والإيناس بعد التَّقرير لموسي عليه السَّلام ليعرف ما في يده حتَّى لا ينفر منها اذا انقلبت حيه ولفته وتنبيهه إلي هذا المشهد التدريبي الذي سيمر به فيما بعد عند بعثه لدعوة فرعون إلي الإيمان باللَّه إيناسه لتثبيت قلبَه عند مناجاته لربه.

وأما ما ذكره صاحب (جواهر البلاغة) من أن الاستفهام للاستئناس[4] فهو غير دقيق لأنَّ الاستئناس استفعال، أي طلب الأنس من موسي عليه السَّلام وهذا لا يجوز في حق اللَّه تعالى لانتفاء الاحتياج في حقّهِ.

---

[1] سورة النساء الآية (88).

[2] البحر المحيط، ج3 ، ص 313.

[3] سورة طه الآية ، (17).

[4] انظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد بن إبراهيم بن مصطفي الهاشمي، تدقيق د. يوسف الصميلي ،المكتبة العصرية بيروت، د ط ، د ت ، ص83.

يقول الإمام الزَّمخشري: "إنَّما سأله ربه ليريه عظم ما يخترعه عز وعلا في الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة، وليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه (أي العصاة) والمقلوب إليه(أي الحية) وينبهه على قدرته الباهرة"[1]

ويقول الإمام أَبو السُّعود بعد اختصاره لكلام الإمام الزَّمخشري السَّابق: "وأيّاً ما كان فالاستفهام إيقاظ وتنبيه له عليه الصلاة والسَّلام على ما سيبدو له من التعاجيب وتكرير النداء لزيادة التأنيس والتَّنبيه"[2]

(وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى) [3]

الاستفهام للتَّنبيه بعد إنكار العجلة وسببها والتي دفعت بموسي عليه السَّلام إلي سبق قومه إلي ميقات ربهم، وتنبيه من اللَّه لموسي عليه السَّلام بضرورة إتباع ما رسمه اللَّه له من منهاج والإلتزام به دون تقديمٍ أو تأخيرٍ أو تبديلٍ.

يقول الإمام الزَّمخشري: "وما أعجلك" أي شيء عجَّل بك عنهم على سبيل الإنكار، وكان قد مضي مع النقباء إلي الطُّور على الموعد المضروب، ثم تقدَّمهم شوقاً إلي كلام ربه وتنجَّز ما وعد به، بناء على اجتهاده وظنَّه أن ذلك اقرب إلي رضا اللَّه تعالي، وزل عنه(أي لم يتنبَّه) أنَّه عزَّ وجل ما وقَّتَ أفعالَه إلا نظراً إلي دواعِي الحِكمة، وعلماً بالمصالح المتعلِّقة بكل وقتٍ".[4]

---

[1] الكُشَّاف ، ج3 ، ص52.

[2] تفسير أبي السُّعود ،ج6 ، ص9، 10.

[3] سورة طه الآية (83).

[4] الكُشَّاف، ج3 ، ص 73.

المطلب التاسع عشر: الاستدراج

مما ورد به من أسلوب الاستفهام في آيات الأَحكام قوله تعالى

(إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ) [1]

الاستفهام الأَوَّل للاستدراج والتَّحقير بعد التَّقرير من إبراهيم عليه السَّلام لقومه عن معبوداتهم لاستدراجهم ليجيبوا بما أجأَبوا به فيكُر عليهم بما بعده موبخاً لهم ومُسفِّهاً لعقولهم ومحقراً لمعبوداتهم.

يقول الإمام أَبو حيَّان: " ما استفهام بمعني التَّحقير والتَّقرير وقد كان إبراهيم عليه السَّلام يعلم أنهم عبده أصنام ولكن سألهم ليريهم أن ما كانوا يعبدونه ليس مستحقاً للعبادة"[2]

وقال صاحب التفسير (التَّحرير والتَّنوير):" وَالِاسْتِفْهَامُ صُورِيٌّ فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ أَصْنَامًا وَلَكِنَّهُ أَرَادَ بِالِاسْتِفْهَامِ افْتِتَاحَ الْمُجَادَلَةِ مَعَهُمْ فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ هَذَا السُّؤَالَ لِيَكُونُوا هُمُ الْمُبْتَدِئِينَ بِشَرْحِ حَقِيقَةِ عِبَادَتِهِمْ وَمَعْبُودَاتِهِمْ".[3]

---

[1] سورة الشعراء الآيات (70 ، 72).

[2] البحر المحيط ج7 ، ص 22.

[3] التَّحرير والتَّنوير ج19 ، ص138.

المطلب العشرون: التَّشكيك

مما ورد به من أسلوب الاستفهام في آيات الأَحكام قوله تعالى:

(سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاس مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [1]

الاستفهام للتَّشكيك والاستهزاء والتَّعجب بعد الإنكار من قبل اليهود واعداء الإسلام على النَّبي – صلَّى اللَّه عليه وسلَّم – والمسلمين تحويل قبلتهم في الصلاة من بيت المقدس إلي بيت اللَّه الحرام بأمر من اللَّه فكره اليهود ذلك فحاولوا توظيف ذلك التَّحول في التَّشكيك من صحة صرفهم عن دينهم، فامر اللَّه نبيه محمداً صلَّى اللَّه عليه وسلَّم بالرَّد على أَباطيلهم ومحاولتهم البائسة.

يقول الإمام الفخر الرَّازي عن لفظ السَّفيه الوارد في هذا الأسلوب الاستفهامي:" هذا اللَّفظ يمكن حمله على اليهود وعلى المشركين وعلى المنافقين وعلى جملتهم، ولقد ذهب إلي كل واحد من هذه الوجوه قوم من المفسِّرين فأولها: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ: هم اليهود، وذلك لأنهم كانوا يأتسون بموافقة الرَّسول لهم في القبلة، وكانوا يظنون أن موافقة لَهُمْ فِي الْقِبْلَةِ رُبَّمَا تَدْعُوهُ إِلَى أَنْ يَصِيرَ مُوَافِقًا لَهُمْ بِالْكُلِّيَّةِ، فَلَمَّا تَحَوَّلَ عَنْ تلك القبلة استوحشوا من ذلك واغتنموا وَقَالُوا: قَدْ عَادَ إِلَى طَرِيقَةِ آبَائِهِ، وَاشْتَاقَ إِلَى دِينِهِمْ، وَلَوْ ثَبَتَ عَلَى قِبْلَتِنَا لَعَلِمْنَا أَنَّهُ الرَّسُولُ الْمُنْتَظَرُ الْمُبَشَّرُ بِهِ فِي التَّوْرَاةِ.

وثانيها: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ وَالْحَسَنُ وَالْأَصَمُّ، إِنَّهُمْ مُشْرِكُو الْعَرَبِ.

وَثَالِثُهَا: أَنَّهُمُ الْمُنَافِقُونَ وَهُوَ قَوْلُ السُّدِّيِّ.

وَرَابِعُهَا: أَنَّهُ يَدْخُلُ فِيهِ الْكُلُّ لِأَنَّ لَفْظَ السُّفَهَاءِ لَفْظُ عُمُومٍ دَخَلَ فِيهِ الْأَلِفُ وَاللَّامُ".[2]

واللَّه أعلم.

---

[1] سورة البقرة الآية (142).

[2] التفسير الكبير، ج4 ، ص101.

المبحث الثَّالث: معاني الاستفهام غير الطَّلبية

المطلب الأَوَّل : الاستبعاد

مما ورد به من أسلوب الاستفهام في آيات الأَحكام قوله تعالى:

(أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللَّه ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [1]

الاستفهام للاستبعاد والتَّعجيب والتَّنبيه بعد الإنكار على المؤمنين طمعهم في إيمان اليهود مستقبلا واستبعاد لإيمانهم لأنهم خائنون لأمانة الوحي بتحريفهم للتوراة من قبل وهم يعلمون أنهم مخالفون بذلك لعهد اللَّه وميثاقه.

يقول الإمام أَبو حيَّان "والمعني استبعاد ايمان اليهود اذ قد تقدم لإسلافهم أفاعيل وجري أَبناؤهم عليها، فبعيد صدور الإيمان من هؤلاء كيف يؤمن هؤلاء وهم إنَّما يأخذون دينهم و يتعلمونَهُ من قوم يحرِّفونه عناداً؟ فأنَّما يعلمونهم ما حرَّفوه وغيروهُ عن وجههِ .. والهمزة في أفتطمعون للاستفهام وفيها معني التَّقرير وقيل فيه ضرب من النَّكير" [2]

(وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ)[3]

الاستفهام للاستبعاد والنَّفي والتحذير بعد الإنكار على الكفار الذين يأمرون النَّاس بالكفر وتحذير للمؤمنين من طاعة من يأمرهم بهذا الكفر واستبعاد أن يقع منهم الكفر بعد ثبوت الإسلام في قلوبهم.

يقول الإمام الزَّمخشري: "و الهمزة في أيأمركم للإنكار بعد إذ انتم مسلمون دليل على أن المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه أن يسجُدوا له"[4]

---

[1] سورة البقرة الآية (75)

[2] البحر المحيط ج1 ، ص 271

[3] سورة ال عمران الآية (80)

[4] الكُشَّاف ، ج1 ، ص353

(وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّه وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّه فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [1]

الاستفهام للاستبعاد والتَّحذير والتَّعجيب والنَّفي أي نفي لكفر جماعة المؤمنين في هذا الحال واستبعاد لوقوع الكفر منهم وتحذير لهم من كيد اليهود والمنافقين وتعجيب لحال المؤمنين إن هم تركوا هدي اللَّه وسنة رسوله وراء ظهورهم ولجأوا إلي اليهود لطلب الهدي منهم.

يقول الالوسي:" وكيف تكفرون أي على أي حالٍ يقع منكم الكُفر وأنتم تتلون آيات اللَّه الدَّالة على توحيده ونبوة نبيه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم ... والمراد استبعاد أن يقع منهم الكفر وعندهم ما يأباه"[2]

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا) [3]

الاستفهام للاستبعاد بعد الإنكار من مشركي مكة على النَّبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم أخباره لهم بالبعث بعد الموت فسألوه عن موعد قيام الساعة ومتي ارساؤها أي إقامتها تشبيهاً لها بالسَّفينة فإن مرساها مستقرَّها حيث تنتهي إليه. [4] ويقصدون من ذلك استبعاد قيامها.

يقول صاحب تفسير(التَّحرير والتَّنوير):"أيان اسم يستفهم به عن تعيين الوقت، والاستفهام مستعمل في الاستبعاد"[5]

ونحوه قوله تعالى(يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ) [6]و قوله تعالى (يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ القيامة) [1] [1]

---

[1] سورة ال عمران الآية (101).

[2] روح المعاني ج4 ، ص 16.

[3] سورة النازعات الآية (42)، وسورة الاعراف الآية (187).

[4] أنظر الكُشَّاف ج4 ، ص 535.

[5] التَّحرير والتَّنوير ج30 ، ص 95.

[6] سورة الذاريات الآية (12).

المطلب الثَّاني: التَّحقير

مما ورد به من أسلوب الاستفهام في آيات الأَحكام قوله تعالى

(إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ) [2]

الاستفهام للتحقير والتَّسفيه والاستدراج والإنكار بعد التَّقرير من إبراهيم عليه السَّلام لأبيه وقومه عن حقيقة معبوداتهم التي يعبدونها من دون اللَّه وإظهار لحقارتها وتسفيه لعقولهم واستدراج لهم بما أجأَبوا به تمهيداً للكرِّ عليه وإبطاله.[3]

ويقول الإمام الزَّمخشري: (ما هذه التَّماثيل) تجاهل لهم وتغابٍ ليحقر آلهتهم ويصغِّر شأنها مع علمه بتعظيمهم وإجلالهم لها. [4]

(قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّه أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)[5]

الاستفهامان الثَّاني والثَّالث للتحقير والتَّوبيخ بعد الإنكار على المشركين والنعي عليهم عبادتهم للأصنام وبيان لعجز معبوداتهم وحقارتها وتوبيخ لهم لعبادتهم لها.

يقول الإمام أَبو حيَّان: "قل أرأيتم ما تدْعون: معناهُ أَخبروني عن الذي تدْعون من دون اللَّه، وهي الأصنام أَروني ماذا خلقوا من الأرض: استفهام توبيخ"[6]

---

[1] سورة القيامة الآية (6).

[2] سورة الأنبياء الآية (52).

[3] انظر : التَّحرير والتَّنوير، ج17 ، ص 94.

[4] الكُشَّاف ج3 ، ص 111.

[5] سورة الاحقاف الآية (4).

[6] البحر المحيط ج8 ، ص 54.

المطلب الثَّالث: التَّهكم والاستهزاء والسُّخرية

مما ورد به من أسلوب الاستفهام في آيات الأَحكام قوله تعالى :

(قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) [1]

الاستفهام للاستهزاء والسخرية بعد الإنكار من قوم شُعيب – عليه السَّلام –عليه دعوته لهم بالاحتراز عن أكل أموال النَّاس بالباطل وأمره لهم بوفاء الكيل والميزان، فما كان منهم إلا أن سخروا منه ونسبوا ما دعاهم إليه ونهاهم عنه إلي صلاته على سبيل الاستهزاء والسخرية.

يقول الإمام الزَّمخشري :"كان شُعيبٌ – عليه السَّلام – كثير الصَّلوات وكان قومه إذا رأوه يصلَّى تغامزواْ و تضاحكواْ، فقصدوا بقولهم (أَصَلاتُك تأْمُرُكَ) السُّخرية و الهُزْء". [2]

(فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ) [3]

الاستفهام للتهكم والاستهزاء والنَّفي بعد التَّقرير من إبراهيم عليه السَّلام للأصنام التي كان يعبدها قومه بعدم القدرة على الأكل يقصد بذلك التَّهكم والسَّخرية منهم ومن باب أولي عابديهم.

يقول الإمام الزَّمخشري: "ألا تأكلون" استهزاء بها وبانحطاطها عن حال عبدتها". [4]

---

[1] سورة هود الآية (87).

[2] الكُشَّاف، ج2، ص385.

[3] سورة الصافات الآية (91).

[4] الكُشَّاف، ج3، ص641، 615.

المطلب الرَّابع: الاستبطاء

مما ورد به من أسلوب الاستفهام في آيات الأَحكام قوله تعالى:

(أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّه أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّه قَرِيبٌ) [1]

الاستفهام الثَّاني (متى نصر اللَّه) للاستبطاء والتمني والتَّهويل أي استبطاء الرَّسول- صلَّى اللَّه عليه وسلَّم - والمؤمنون معه مجيء النَّصر وتمنيهم له، وفي ذلك إيماء للشدائد و المحن التي تعرضوا لها في غزوة احد وتهويل لشأنها حتَّى اضطرتهم لاستعجال النصر واستطالة زمن الشدة. فاذا كان النَّبي (صلَّى اللَّه عليه وسلَّم) ؛وهو اشد النَّاس صبراً وتحملاً للمحن والمصائب ويليه في ذلك أصحابه الكرام قد تمنواْ الخلاص من تلك الشُّدة، فلا بد أَنَّها بلغت حدّاً لا يُطاق.

يقول الإمام الزَّمخشري "(متي نصر اللَّه) معناه طلب النَّصر وتمنيه واستطالة زمن الشُّدة".[2]

ويقول الإمام أَبو حيَّان:" (متي نصر اللَّه).. قيل ذلك على سبيل الدعاء للَّه تعالى والاستعلام لوقت النَّصر.. وقيل: ذلك على سبيل الاستبطاء، إذ ما حصل لهم من الشُّدة والابتلاء والزَّلزال هو الغاية القصوى وتناهى ذلك وتمادى بالمؤمنين إلي أن نطقوا بهذا الكلام".[3]

---

[1] سورة البقرة الآية (214).

[2] الكُشَّاف ،ج4 ، ص 240.

[3] البحر المحيط ،ج2 ، ص 140.

(وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) [1]

الاستفهام للاستبطاء والاستهزاء بعد الإنكار من المشركين على النَّبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم في إخباره لهم بالبعث والحساب يوم القيامة فكانوا يسخرون من قوله ويستبطئون قيام السَّاعة ويطلبون قيامها ويستعجلون به. [2]

يقول الفخر الرَّازي[3]: " لعلهم كانوا يقولون ذلك على سبيل السُّخرية، ولعلهم كانوا يقولونها إيهاماً للضُعفة أَنَّه لما لم يُتعجَّل فلا أصل له".[4]

---

[1] سورة الملك الآية (25)

[2] انظر: الكُشَّاف ج4 ، ص433

[3] انظر ترجمتهُ: ص 25من هذا البحث.

[4] التفسير الكبير، ج30 ، ص74